



جامعة الجزائر 2
أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
المجلس العلمي

الجزائر: 2024-05-06

رقم: 219/ج 2/ك ع /الم ع ك/ 2024
المرجع: مستخرج اللجنة العلمية لقسم التاريخ بتاريخ 2023-10-09

مستخرج من محضر المجلس العلمي للكلية

*دورة 2023-10-09 ص 35

بناء على التقارير الإيجابية للخبراء، يوافق المجلس العلمي للكلية في الدورة المذكورة
أعلاه على المطبوعة البيداغوجية للمترشح (ة):

د/ مصطفىاوي سعاد

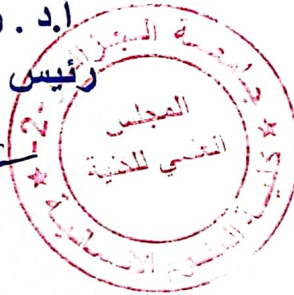
القسم: تاريخ	التخصص: تاريخ حديث و معاصر
--------------	----------------------------

بيانات المطبوعة البيداغوجية :	مطبوعة بيداغوجية
عنوان المطبوعة	تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء
مقياس المطبوعة	إفريقيا جنوب الصحراء
المستوى	السنة الثالثة ليسانس

رئيس المجلس العلمي

أ.د. وهيبة غراممي
رئيس المجلس العلمي

(Handwritten signature)





جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

مطبوعة بيداغوجية خاصة بمقياس تاريخ افريقيا جنوب

الصحراء

A pedagogical booklet designed for the sub-Saharan African
History scale

السنة الثالثة ليسانس

السداسي الخامس

إعداد الدكتورة: مصطفى سعاد

أستاذ محاضر أ

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

الملخص بالانجليزية :

The study of Africa south of the Sahara studies this region historically by addressing its geographical location, political history, economy, and society especially after the spread of Islam. This is the stage during which Sub-Saharan Africa witnessed the prosperity and development thanks to the Islamic Emirates that emerged, with religious figures and leaders such as Usman dan Fodio, Sheikh Umar Tall, and Ahmad Baba al-Timbukti. Our successive lectures aim to introduce students to the importance of these figures, in addition to familiarizing them with the glorious and illustrious past of our Arab Islamic civilization, and the cultural interactions and influences that took place in this region through studying the main aspects of civilization such as sciences, culture, and urbanization. We also discuss the important Sufi ways that emerged and contributed to the spread of Islamic civilization in this region, as well as the main factors of weakness and decadence leading up to the colonial period.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

الوحدة التعليمية الاستكشافية

البرنامج العام للمقياس حسب عرض التكوين:

1- توطئة:

2- تعريف إفريقيا جنوب الصحراء

3- السودان وأقسامه

4- المجال الجغرافي لدول إفريقيا جنوب الصحراء

5- المجال الغربي

6- وسط إفريقيا

7- شرق إفريقيا

8- ثالثا - الخصائص الطبيعية في بلاد السودان (إفريقيا جنوب الصحراء)

9- الحياة الثقافية في إفريقيا جنوب الصحراء

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

توطئة:

يعتبر مقياس إفريقيا جنوب الصحراء من المقاييس الأساسية المقررة دراستها لطلبة السنة الثالثة ليسانس ضمن طور التكوين (ليسانس) في النظام الجديد (ل.م.د)، تخصص التاريخ العام، وبهذا فإن إنجاز مطبوعة بيداغوجية تضمن المفاهيم الأساسية بتقريب وتبسيط المعلومة وتشرح المقياس بطريقة علمية هو من صميم عمل الأستاذ المحاضر الواجب تقديمه

يحاول من خلالها إبراز تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء أو ما كان يعرف سابقا ببلاد السودان ، باستغلال أمهات المصادر والمراجع التي كشفت تاريخ المنطقة الغابر والضارب في أعماق التاريخ، متتبع في ذلك أهم المحاور التي وضعها الخبراء في لجنة الموائمة والتي أقرتها الوزارة الوصية لتصبح مقررا علميا لطلبتنا الأعزاء .

1- مدخل إلى مقياس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء :

يتناول مقياس إفريقيا جنوب الصحراء دراسة هذه المنطقة دراسة تاريخية بالتطرق إلى موقعها الجغرافي ، تاريخها السياسي، الاقتصادي والاجتماعي خاصة بعد انتشار الاسلام ، وهي المرحلة التي عرفت فيها إفريقيا جنوب الصحراء قوة ازدهارها وتطورها بفضل الامارات الاسلامية التي ظهرت فيها و الشخصيات والزعامات الدينية التي قادتها امثال عثمان دانفوديو ، والشيخ عمر طال و احمد بابا التمبكتي....

وبذلك فمحاضراتنا المتوالية نسعى من خلالها إلى التعريف بأهم هذه الشخصيات للطلبة ، إضافة إلى التعريف بالماضي التليد والمجيد لحضارتنا العربية الاسلامية والتأثير والتأثر والتفاعل الحضاري الذي حدث في هذه المنطقة و ذلك بدراسة أهم مظاهر الحضارة كالعلوم و الثقافة و العمران الخ.... ، كما نتناول أهم الطرق الصوفية التي ظهرت و ساهمت في نشر الحضارة الاسلامية هذه المنطقة ، وأهم عوامل الضعف و الانحطاط وصولا لمرحلة الاستعمار .

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

1- مصادر و مراجع مقياس إفريقيا جنوب الصحراء

ولدراسة هذه المواضيع دراسة علمية موضوعية يجب اختيار مصادر و مراجع المقياس بشكل جيد تتنوع بين الاجنبية و العربية وحتى الدراسات الاكاديمية، و بين هذه الدراسات نذكر:

1- المصادر العربية:

1. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أخبار العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة عبد الكريم للطباعة 1979، ج 6
2. ابن كثير، البداية و النهاية، ج 12
3. ابن هشام أبو محمد ابن عبد الملك، السيرة النبوية، المجلد الأول، تح، الأستاذ شمس الدين أحمد، دار و مكتبة الهلال، ط 1
4. البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.
5. بلو محمد بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، نيجيريا، دت
6. الحفناوي أبو القاسم محمد: تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، 1906، ج 1
7. السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، طبعة هوداس، فرنسا، 1898، ط 1
8. المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي، تح عبد القادر زبادية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1968

2- المراجع العربية:

1. أبو بكر القادري، الشيخ عبد القادر الجيلاني و دوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين الآسيوي و الإفريقي، الدار البيضاء 1998
2. الأمين أحمد، التوسيط في معجم بلاد شنقيط، القاهرة، دت

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

3. بوعزيز يحيى، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة
 4. توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن، القاهرة 1957
 5. حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984
 6. حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، 1986
 7. حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني
 8. زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية
 9. طرخان إبراهيم علي، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973
 10. طرخان إبراهيم علي، إمبراطورية مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973
 11. عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي القاهرة، ط1، 1991
 12. عثمان براهما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة والنشر، جمهورية مصر العربية، ط1، 2000
 13. في جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، تر الدكتور السيد يوسف نصر، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1972
 14. الكانمي أحمد، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزهراء للإعلام، القاهرة، ط1، 1987.
 15. مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2005، ط1.
- ج- الدراسات و الأبحاث:**

1. إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المسلمون الاستعمار الأوروبي في الغرب الإفريقي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، جويلية 1989
2. آدم إبراهيم أحمد، الثقافة العربية الإسلامية في دولة صكة الإسلامية، منشورات جامعة إفريقيا العالمية، المؤتمر الدولي حول الإسلام في إفريقيا، 26/27 نوفمبر 2006

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

3. بطران عزيز، الطريقة القادرية في إفريقيا و الصحراء الغربية، حياة الشيخ مختار الكنتي 1729-

1811 منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط 2001

4. الجمل شوقي، الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا، مجلة المناهل، عدد 7، نوفمبر 1976م

5. جون هانويك، تراث المخطوطات الإسلامية لتنمبكتو، تر سوزي أباضة، مجلة أفريقية -عربية، مركز البحوث العربية، القاهرة، العدد 06، 2003.

6. عمر أحمد سعيد: انتشار الإسلام في إفريقيا بين السيف و القلم، إصدارات جامعة إفريقيا العالمية، المؤتمر الدولي حول الإسلام في إفريقيا 26/27 نوفمبر 2006.

د- الرسائل و الأطروحات الجامعية:

1. عابدين أحمد فتوح، الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنين السادس عشر و السابع عشر، تاريخها السياسي و الحضاري و الاقتصادي، رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة 1989

2. عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات و تأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 15/16هـ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، إشراف الدكتور بشار قويدر، 2000/2001

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

المحاضرة الأولى

1- تعريف إفريقيا جنوب الصحراء :

القارة الإفريقية هي إحدى قارات العالم القديم وتتميز بموقع استراتيجي جد هام لذا كانت محل أنظار الكثير من الشعوب والإفراد وبتنامي الثقافة والفكر وتطور الحضارات وازدهار الاقتصاد فقد زاد الاهتمام والتعمق أكثر بأقطار وشعوب القارة وحظيت الدراسات الإفريقية باهتمام متزايد من الباحثين في مختلف المجالات لاسيما في التاريخ (إفريقيا جنوب الصحراء).

أولاً: تعريف إفريقيا جنوب الصحراء:

تعتبر منطقة إفريقيا من أصعب المناطق عند الحديث عن اصول سكانها الحديث، نظرا لكثرة الروايات التي اُعبر جزء كبير منها مجرد أساطير، فهي تحتاج للدراسة و التمهين لمعرفة مدى تطابق الماضي المتداول بالحاضر المعاش، و أنّ رفضها يعتبر رفضها لهوية و تاريخ تلك الشعوب لكنها في المقابل ساهمت في صنع حضارة لا يمكن نكرانها ولذلك فدراسة البيئة التي قامت عليها حضارة السودان الغربي ومعرفة الجنس البشري الذي احتضنها، أمر ضروري، وقد أطلق كلمة السودان في القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط غربا إلى مشارف النوبة على النيل شرقا واعتبر سجلماسة مدخلا إلى بلاد السودان¹

ومعنى السودان الغربي -الذي أطلقه المؤرخون القدامى على منطقة غرب إفريقيا، أو إفريقيا جنوب الصحراء- هم الأجناس ذات البشرة السوداء من سكان القارة الإفريقية من المحيط الأطلسي غربا حتى البحر الأحمر شرقا، ويذكر هذا المقدسي بقوله: "و أما أرض السودان فإنها تتاخم إقليم المغرب و مصر من الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة، وهم أجناس كثيرة" ويقول البكري: "أول بلاد السودان

¹ -التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر الدار المصرية اللبنانية القاهرة الطبعة الأولى 1999م.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق"، وقال عنها ابن خلدون: "هذه الأمم السودان من الآدميين، وهم أصناف وشعوب، وقبائل، أشهرهم بالشرق الزنج، و الحبشة والنوبة"، و أما عن نسبهم فيذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب: "ولما تفرق ولد نوح في الأرض، سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر، ثم افترقوا وسارت طائفة منهم نحو المغرب، وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة و الكانم و مركة وغانة وغير ذلك من أنواع السودان". أما ابن حوقل (ت367هـ-977م) فتحدث عن لفظ السودان في كتابه صورة الأرض "وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فان بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المحيط وينتهي إلى برية بينه وبين ارض المغرب وحدا بينه وبين برية بينه وبين ارض على ظهر الواحات"² كما وصفه المقدسي (ت380هـ/990م) في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم فحدد من خلال بلاد السودان فيقوله "وأما ارض السودان فإنها تتخام هذا الإقليم الثاني من مصر من قبل الجنوب وهي بلدان مقفرة واسعة وهم أجناس كثيرة"³ وقد درج المؤرخون على تقسيم بلاد السودان إلى:

أ-السودان الشرقي:يمتد من البحر الأحمر شرقا حتى إقليم دار فور غربا، وغلب عليه اسم بلاد الزنج.⁴

ب-السودان الأوسط:ويشمل حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها.

ج-السودان الغربي:ويشمل المناطق الواقعة بين حوض نهر السنغال، و الحوض الأوسط لنهر النيجر.

5

² -ابو القاسم بن حمقل،صورة الارض،دار مكتبة الحياة ،بيروت لبنان،1979م،ص 15

³ -المقدسي شمس الدين أبو عبد الله ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،ط3،مكتبة مدبولي القاهرة ،1991م،ص314

⁴ - يحي بوعزيز، تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية،دار هومة 2001ص9

⁵ -زيادية عبد القادر ،مملكة سنغاي في عهد الاسقيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،(د ت)ص15

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

أما الموقع الجغرافي للمنطقة موضوع الدراسة - السودان الغربي أو غرب افريقية-، فهي تنحصر بين خط طول 10° شرقا و 20° غربا، ودائرتي عرض 10° و 20° شمال خط الاستواء، وبذلك يمكن تحديد منطقة هذه الدراسة بحسب التسميات المعاصرة على النحو التالي: موريتانيا، السنغال، مالي، وبعض المناطق من نيجيريا و النيجر.

فإفريقيا عموما وغربها خصوصا يحتل مكانة عظيمة في العالم من حيث مساحتها و عدد سكانها و ثروتها الدفينة و إمكاناتها الاقتصادية، موقعها الاستراتيجي واستعداد أهلها الحضاري. وتتميز هذه المناطق بتوفر العنصر البشري، كونها تتوفر على مؤهلات العيش و أهمها غزارة التساقط و كثرة المجاري المائية كالأنهار، والثروة الحيوانية، والغطاء النباتي وأنواع الأشجار المثمرة، يقول محمد بلو في كتابه انفاق الميسور: "...فأما البلد فبلد ذو أشجار واسعة، و أنهار ومزارع، وفيه رعاة كثيرون" كل هذا جعل من المنطقة قبلة لتوافد الأجناس البشرية عليها على مر التاريخ ومن أهمها وصول الحضارة العربية الإسلامية، ثم الاستعمار الغربي.

كما أن عوامل العيش الكريم في إفريقيا ساعدت في استقرار العنصر البشري بها، ويتكون سكانها من زنوج و قوقازيين وفدت إليها من آسيا عن طريق باب المندب و الشام عن طريق صحراء سيناء.

ومن العناصر التي شكلت أصل السكان في إفريقيا:

- الزنوج الحقيقيون.
 - الزنوج الأقزام.
 - مجموعة الخويسان التي يحاول بعض علماء السلالات وضعها تحت مجموعة مستقلة عن الزنوج.
- و بالإضافة إلى السلالات الزنجية الرئيسية هناك ثلاث سلالات فرعية أخرى هي:

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

- جماعات البانتو المترنجة والذين لا يمكن تمييزهم في الغرب عن زنوج غرب إفريقيا و لكن في الشرق و الجنوب يزيد اختلاطها بالدماء الغوغازية وبالجماعات الخوسانية.

- الجماعات النيلية المترنجة في حوض بحر الجبل و في إقليم بحيرة فكتوريا الحاميون النيليون أو أنصاف الحاميين في شرق إفريقيا الذين تظهر فيهم الصفات الغوغازية أكثر من النيلية.

ويعيش في هذه المنطقة الساحلية الممتدة بين نهر السنغال وغامبيا جماعات زنجية أصلية تعرف باسم الولف ، والسريير، ويعتبر الولف من أكثر شعوب القارة الإفريقية سوادا، فلون بشرتهم شديد السواد كما أنهم يمتازون بمتانة تكوينهم و عرض الأكتاف والخصر النجيلي والأنف الدقيق ، والشفاه الغليظة ولكنها ليست مقلوبة تماما كشفافة الزنوج. أما مصطلح بلاد التكرور⁶ ورغم اختلاف المصادر في تحديده اهو جزء يشمل مدينة أو قبيلة أو جهة من بلاد السودان أم هو نفسه اسم من أسماء بلاد السودان الغربي، فقد تناولته المصادر العربية بمصطلح بلاد التكرور أو أهل التكرور ومرة أخرى نجد أن الشهادات المشرقية والمغربية والسودانية بعد البكري كانت توصف بلاد التكرور لدلالة عن بلاد السودان بينما نجد بعض المصنفات المشرقية في بعض النصوص ابن خلدون واحمد التنبكتي تتحدث عن التكرور على أنها احد الطوائف السودانية وتوطنهم بين نهر النيجر ونهر النيل أي منطقة السودان الأوسط.

⁶-وهناك مسميات أخرى لتكرور منها تكرير وتكارنة ومفردها تكروني انظر ولد البراء يحي مجموعة الفتاوى الكبرى المكتبة الوطنية نواكشوط

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

ثانيا - المجال الجغرافي لدول إفريقيا جنوب الصحراء:

● غرب إفريقيا :

يحد هذا النطاق المحيط الأطلسي من الغرب والجنوب الغربي ومن الجنوب نطاق الغابة الاستوائية الكثيفة ومن الشمال الصحراء الإفريقية الكبرى، أما من الشرق فليس من السهل ضبط دقتها وذلك لخلو المنطقة من وجود حواجز طبيعية يمكن اعتبارها معالم فاصلة لذلك حُدِّد خط وهمي يكاد ينطبق على الحدود الشرقية لجمهورية نيجيريا حالياً وهذا النطاق تحتقه شبكة هيدروغرافية لعبت دورها في تاريخ تلك البلاد وتضم هذه الشبكة نهر النيجر ونهر السنغال ونهر غامبيا وغيرها من الأنهار الأخرى، ومناخها أكثر اعتدالا على السواحل المطلة على المحيط ويمارس سكانها الزراعة والرعي علاوة على التجارة⁷.

● وسط إفريقيا:

تتجاوز مساحته الكلية 4 ملايين ويضم مجموعة من الدول هي الكونغو الديمقراطية (الزائير سابقا) والكونغو وجمهورية إفريقيا الوسطى وتشاد وغيرها من دول وسط إفريقيا، وأبرز معالم هذا النطاق هو حوض الكونغو الذي يحده من الشمال هضاب أوبانغي وهي مسطحات واسعة تتخللها بعض التلال ويطل شمال هذه الهضاب بدوره على حوض تشاد وهذه الأخيرة كانت مهدا لممالك إسلامية قوية وحركات إصلاحية فاعلة، وهي أرض خصبة.

● شرق إفريقيا:

يشغل هذا النطاق الجزء الجنوبي لما كان يسمى بالسودان الشرقي و جنوب بلاد النوبة، أما التقسيم الحديث فيحصر المنطقة ما بين بحيرة نياسا جنوباً والبحر الأحمر في الشمال والشمال الشرقي والمحيط الهندي في الشرق ومن الغرب دولة الكونغو الديمقراطية وضم مجموعة من الدول وهذه المنطقة هي أكثر المناطق ارتفاعاً في القارة وتنوعاً في المناخ.

⁷ - محمد رياض وكوثر عبد الرسول ، إفريقيا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر القاهرة 2012 ص80

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

ثالثا - الخصائص الطبيعية في بلاد السودان (إفريقيا جنوب الصحراء):

1- الصحراء الكبرى : يحتوي السودان الغربي على أكبر صحراء في العالم هذه الصحراء التي عرفها كل من تاج العروس وابن منظور في لسان العرب الصحراء من الأرض بأنها " المستوية في لين وغلظ دون القف، وقيل أنها الفضاء الواسع"⁸..... بها سلسلة جبلية وهي جبال الأطلس وبعض المرتفعات مثل هضبة اهير ومرتفعات أحجار وهضبة بوتش ، و ثادमित وهضبة فوتا جالون ، نجد بينها الوديان والواحات التي اتصلت ببعضها البعض عن طريق القوافل التجارية مثل غدامس وغات ومرزق والجغوب وتمنراست

المناخ الصحراوي فالأمطار قليلة بحيث أن بعض المناطق تمر عليها سنوات دون ان ينزل فيها المطر والأمطار التي تهبط في المناطق الصحراوية ليست ذات فائدة تذكر لزراعة حيث أنها سرعان ما تتبخر بمجرد ملامستها الأرض وذلك بفعل ارتفاع درجة الحرارة⁹

وقد كتب الكتاب الجغرافيون العرب وفي مقدمتهم أبو عبيد البكري والشريف الإدريسي وابن سعيد المغربي وابن خلدون والمقرئزي والحسن بن محمد الوزان وابن بطوطة ، كلهم تحدثوا عن الصحراء الكبرى وتركوا لنا وصفا شيقا لمختلف أطراف الصحراء ، ولاسيما للمناطق الواقعة على حافاتها الجنوبية والشمالية التي كانت تجوبها قوافل التجار والتي زرع دعاة الدين الإسلامي فيها بذور حضارة نمت وترعرعت في مراكز للعمران لا يقلل من عظمتها كونها قد اندثرت الآن وطمستها الرمال مثل اوغودست وسجلماسة وتمبكتو فقد كانت هذه المدن مقصدا للقوافل من مختلف أطراف المشرق والمغرب تنقل إليها منتجات الشمال ومنتجات الأندلس التي تعبر بالمغرب وتحمل العبيد والتبر والعاج وغير ذلك.

وهنا نستنتج أن الصحراء الكبرى لم تشكل عائقا قي ربط شعوب المنطقة بالعالم الخارجي وهذا ما أثبتته العصر الوسيط من خلال تاريخهم للعلاقات التي ربطت شعوب المنطقة بالمناطق الخارجية كالجزيرة العربية

⁸-اسماعيل العربي ،الصحراء الكبرى وشواطئها،المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص13

⁹- اسماعيل العربي ،الصحراء الكبرى وشواطئها،المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص14

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

ومص وبلاد المغرب، حيث اثبت ابن حوقل أن الصحراء لم تكن حاجز في كتابه صورة الأرض في قوله "وعن يسار طريق فا سالي سجلماسة إقليم اغمات وهو رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير والتجار إلى سجلماسة وغيرها ومن سجلماسة إلى اغمات نحو مراحل ومثلها إلى فاس"

2- الغابات : تنقسم الغابات إلى عدة أنواع أهمها

- الغابات الاستوائية : وتتميز بأنها دائمة الخضرة وأغصانها متشابكة تكثر بالمستنقعات والمياه الراكدة وهويتها رديئة كما أنها تحتوي على أنواع كثيرة من الأشجار ، يرتبط توزيعها بنطاقات المناخ الاستوائي باستثناء هضبة شرق إفريقيا وتتركز في حوض الكونغو والجابون وجنوب الكامرون التي تضم أهم غابات إفريقيا ، كما تظهر على شكل أشرطة تتسع وتضيق في الغرب إفريقيا حسب كمية الأمطار ، وتعد الغابة الإفريقية حاجز طبيعي يصعب الوصول إلى داخله بسبب تشابك الأغصان وانتشار الأمراض والأوبئة ، بالإضافة إلى الخوف من الحيوانات المفترسة لكن تغلب الأوروبيون على هذه الصعاب واستطاعوا شق طرق واستغلال مساحات لبناء زراعة كثيفة¹⁰.
- الغابات الجافة : تتكون من أشجار قليلة وصغيرة الحجم وهي اقل اتساعا من الغابات الاستوائية ، وسميت بالغابات الجافة بسبب وقوعها في نطاق جاف مع قلة الأمطار وتتنوع جغرافيا في القسم الجنوبي لحوض الكونغو وحوض الزمبيزي وهضاب انجولا وسواحل بحيرة تنجانيقا.
- الغابات المعتدلة : وهي أشجار دائمة الخضرة بالإضافة إلى صغر الأشجار ذات الجذور الطويلة وتتنوع جغرافيا في إقليم البحر المتوسط

¹⁰ - محمد رياض وكوثر عبد الرسول ، المرجع السابق ص 82.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس) ➤ أهم الأنهار الرئيسية في إفريقيا :

➤ نهر النيل : أطول أنهار إفريقيا وثاني أنهار العالم طولاً بعد الميسيسيبي إذ يبلغ طوله 6671 كلم ولكن مساحة حوضه اصغر بقليل من مساحة حوض الكونغو وذلك لان حوض النيل وان كان متسعا في الجنوب إلا انه يضيق جدا في قسمه الشمالي¹¹ حيث يوجد به نهر يحمل اسم النيل الأبيض ونهر آخر يحمل اسم النيل الأزرق ولكل منهما مميزات خاصة فالنيل الأبيض هو النيل الاستوائي الذي يشبه نهر النيجر ونهر الشاري فهو مثلهما يتلقى موارده من المناطق الواقعة خلف خط الاستواء، أما النيل الأزرق يتلقى موارده من سلسلة جبال الحبشة المرتفعة وهذه الجبال الشديدة الانحدار تعطي النيل قوة جارفة في اندفاعه يحمل معها وقت الفيضان شحنة كبيرة من التراب الأحمر المخصب¹² وحدود حوض النيل طويلة فهي تبدأ من جنوب بحيرة فيكتوريا وتدخل معظم هضبة البحيرات داخل حدود الحوض

➤ نهر الكونغو : يعتبر ثاني أكبر الأنهار طولاً بعد نهر النيل ولقد كان البحث عن منابع الكونغو احد المشكلات الجغرافية الإفريقية، تماما كما كان البحث عن منابع النيل والنيجر، وبعد أن تمت الكشوف الجغرافية وجد منبعين لنهر المنبع الغربي فهو منابع نهر لوالابا التي لا تبعد كثيرا عن منابع الزمبيزي والمنبع الشرقي وهو نهر لوفوا وهو ذلك ويعد نهر الكونغو أكثر الأنهار اتساعا إلى درجة لا يفوقه فيها الأنهار العظمى سوى نهر الأمازون ولكن كمية المياه التي تسقط على حوضه أكثر منها في النيل وينبع الكونغو من بحيرات بنجوبلو ومويرو وتنجانيقا طوله نحو 4700 كلم ومساحة حوضه 3800000 كلم ويصلح هذا النهر للملاحة

¹¹ - محمد رياض وكوثر عبد الرسول ، المرجع السابق ص 96

¹² - اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 27

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

➤ **نهر النيجر** : ثالث انهار إفريقيا طولاً يتشابه مع النيل في مساره يبلغ طوله حوالي 4200 كلم وينبع من الحدود الغينية كونا كاري مع السيراليون له الكثير من الروافد ويمر على مجموعة من الدول أهمها مالي والنيجر ونيجيريا ينبع من السفوح الشمالية لهضبة فولتا جالون في أقصى الجنوب الغربي من غرب إفريقيا وبذلك فان منابعه ليست بعيدة كثيراً عن المحيط ويتجه إلى الشمال ثم إلى الشمال الشرقي حتى تمبكتو¹³، وهو نهر صالح للملاحة بالإضافة إلا انه مصدر هام لصيد السمك ، والنيجر ينقسم إلى قسمين النيجر الأعلى والنيجر الأسفل يجريان منفصلان مسافة طويلة ثم يجتمعان ، والمنطقة التي تمتد في أعالي النهر بين جني وتمبكتو ، عبارة عن مجاري ومستنقعات صحراوية ضخمة وقد قامت على ضفافه مجموعة من الممالك والمدن الإسلامية التي برزت في غرب إفريقيا مثل مملكة مالي¹⁴.

➤ **نهر السنغال**: يبلغ طوله حوالي 1600 كلم وينبع من وسط غينيا كونا كاري ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة سات لوي السنغالية القسم الأوسط من هذا النهر صالح للملاحة وهو مصدر الخصيب للأراضي التي يمر بها.

ج-السافانا : تسود السافانا في هضبة البحيرات الاستوائية وفي جنوب السودان كما تمتد في نطاق واسع من السنغال حتى القرن الإفريقي وكذلك في جنوب إفريقيا كما تنتشر في حافات الصحراء وشرق إفريقيا والمناطق الهامشية الغربية وهي أنواع العالية والمتوسطة الارتفاع والقصيرة

¹³ - نفسه ، ص 104

¹⁴ - اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 24

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

المحاضرة الثانية

1- أصل السكان و القبائل في إفريقيا جنوب الصحراء

• قبائل الفولاني :

1- أصل الفلاني:

تكتب الفلاتي و الفلاتة، و الفولا، بولو، فولاً، و فيلا، و فلاليت، و تكرر، و دكرور، فمن أين أتت هذه الأسماء ؟

تقول الرواية:

إن قبيلتي تميم و جهينة قد هاجرتا من الجزيرة العربية إلى الهند عقب فتنة بختنصر، و عادتا مرة أخرى من الجزيرة العربية بعد انتهاء الفتنة، و مع تميم الأبقار و السيوف و الطاقية ذات اللسانين، و مع جهينة الغنم.

و لقلة المراعي واصلت القبيلتان هجرتهما إلى إفريقيا حيث تتوفر المراعي فسلكت تميم طريق الشام إلى الصحراء، صحراء سيناء حيث استقرت في طور سيناء، و واصلت هجراتها إلى أن وصلت منطقة ليبيا الحالية .

بينما سلكت جهينة طريق اليمن إلى أن وصلت إلى منطقة ليبيا حيث تعيش ربيعة دربها، ثم انتشرت جنوباً، في الوقت الذي فيه واصلت تميم رحلتها إلى أقصى غرب إفريقيا التي سميت أخيراً « غانا » القديمة التي تقع ما بين مالي و موريتانيا الحالية.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

و قد عادت بعض هذه الأسر من تميم مرة أخرى إلى وطنها في الجزيرة العربية، فلما ظهر الإسلام قاد أحفاد هؤلاء العائدين حملة فتح غرب إفريقيا بقيادة عقبة بن نافع، وعقبة بن عامر التميمي و عقبة الجهني، و عقبة الهندي، و غيرهم من المجاهدين رضوان الله عليهم.

فأسلم ملك الروم، العربي الأصل، ملك غانا يدعى « برمنداننا » بعد مقاومة ضعيفة، و تزوج عقبة بن نافع، من ابنة ملك غانا التي تسمى « بجمع منقوا » فولدت له خمسة أولاد و بنتا واحدة هم على التوالي: عثمان تورو- محمد فلان- أبو بكر فلات- عمر دردو- على غرور- فاطمة شلفو، وكان لهم أحفاد كثيرون عمروا الرض بعدهم وأتخذوا من أسماء أجدادهم لقباً لقبائلهم ، و لكل هؤلاء أحفاد ينتشرون ما بين قوتا تورو إلى البحر الأحمر.

تزوج المجاهدون الذين رافقوا جيش عقبة من الروميات و القبائل الإفريقية، كما زوجوا بناتهم و أخواتهم إلى قبائل الروم و البربر فأنجبوا العديد من الأبناء و الأحفاد و كونوا بذلك الكثير من الفروع و القبائل التي انضمت للفلاتة انضمام التزاوج، و من بين هؤلاء من لا يتحدث إلا اللغة العربية.

استشهد عقبة بن نافع و الكثير من المجاهدين و توفيت بجم منقو (فاطمة) محلفين ورائهم ذرية نشطة و حركية، و لهم عدة أقسام و هي:

- الفلاتيون الأصليون و هم أبناء عقبة من أم رومانية.
- الفلاتة بن الروم الذين صاروا فلاتيين بسبب التزاوج و المصاهرة، و من هؤلاء الشفليون الذين هم أبناء فاطمة شلفو ابنة عقبة.
- الفلاتة بنو العرب، و هم أبناء المجاهدين الذين رافقوا عقبة بن نافع إلى إفريقيا و يعتبرون أخلاطاً من النوبة و العرب و الزوج الذين تم فتح بلادهم فاختلف أولادهم بأولاد عقبة و تكلموا بلغة الفلاتة فصاروا فلاتة.
- الفلاتة الجعفريون، كما يسميهم الشيخ محمد بيلو في كتبه إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

بأنهم الفلاتة توردي انتسابا لجدتهم صفية بنت جعفر ابن أبي طالب.

والجدير بالذكر أن هناك قبائل افريقية فلاتية تسمى سنكرة تملك كباشا، ومازالت تحتص هذه القبائل بتربيتها و يسمونها امبرارو حتى صارت علما عليهم فلا يعرفه الناس في نيجيريا و غيرها إلا باسم خروفهم، و لهم ملامح شبيهة بملامح الهنود و صعيد مصر.

2- أوصاف القبائل في غرب إفريقيا:

● قبائل البرنو :

وصفهم ابن بطوطة و الرحالة جونسون: في كتابه « الامبراطورية الفلانية » و وصفهم حسن ابراهيم حسن و الرحالة بارث: بأنهم قوم شبه بيض، سنحتهم حرية، و يعتمدون دائما على أنفسهم و يعملون غالبا بالرعى و على الخصوص رعي الأبقار، و الجهاد تراث من تراثهم، الذي يعتزون به، و أنهم لا يرتبطون بأرض غير مؤهلة بالإسلام بل يعملون لتأهيلها أو الهجرة منها في حالة عجزهم، و في الغالب ينسون لغتهم، فمثلا في نيجيريا أعداد كبيرة من الفلاني قد نسوا لغتهم و يمتلكون لغة الهوسا. و قد أطلق موري لاست الانجليزي في كتابه «خلافة سكتو» اسم البقارة على الفلاني و أضاف بأن الفلاتة يحتقرون كل فلاني لا يهتم بتربية الأبقار.

و قال موردوس في كتابه: إفريقيا و شعوبها و ثقافتها التاريخية، تعتبر البقارة مجموعة من القبائل التي تعمل في رعي الأبقار و تضم البدويين و البقارة و الفلاتة و الطوارق.

و لهم أسماء عديدة منها: فلي - بوللو - تكرر...

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس) ➤ قبائل البرنو BARNO

1- أصل قبائل البرنو:

من أصعب ما يواجه محاولات كتابة تاريخ البرنو هو تضارب آراء المؤرخين عموما و النيجريين خصوصا عن أصل منطقة برنو و سكانها، و يرجع سبب هذا التضارب إلى الخلط في عناصر المهاجرين و أصولهم و فترات هجراتهم ما قبل الميلاد و هجرات ما بعد الميلاد و هجرات ما بعد الإسلام.

و معنى البرنو أو أرض البرنو كما قال عنه كبار المؤرخين ومن أبرزهم محمد سنبو الكلوى في كتابة «كنز الأولاد في تاريخ الدراري و الأجداد».

الذي يؤكد بأنها نتيجة وصول هجرات جهينة إلى إفريقيا عن طريق باب المنذب و ذلك قبل الميلاد، و بوصولهم إلى بحر نوح أو بر النور فادغمت و صارت برنو.

تقع برنو إلى الشرق من إمارات الهوسا و تقع كانم إلى الشرق من برنو و هما تحيطان ببحيرة تشاد، وهي أكبر دولة نشأت في منطقة المراعي بين نهر النيجر و نهر النيل، و تتصل حدودها الغربية ببحيرة تشاد و أنهم يسيطرون على طرق القوافل المتجهة إلى قران والبحر المتوسط و شرقا إلى حوض النيل.

تتكون دولة البرنو من مجموعتين رئيسيتين وهما مجموعة الكانم التي تتكون من هجرات قبائل البربر الصنهاجة المثلثين و الطوارق و الفلاتة و التبو ، عند ظهور الإسلام أرسلت القيادة العليا الإسلامية في المدينة المنورة، قيادتها لها علاقة بتلك الأسر العائدة، بقيادة سيف بني ذي يزن،ومعه كثير من المجاهدين من عدة بطون عربية، إلا أن معظمها كان من جهينة، وأسس مملكة أطلق عليها المؤرخون اسم سيفاوا في أرض برنو و كان ذلك ما بين القرن الثامن و العاشر الميلادي.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

وكان ضعف سلطنة برنو و زوالها في عهد السلطان علي عام 1808م حيث كانت دولته عرضه للهجمات الشرسة من الطوارق و كروفا و مندرا و أخيرا الفلاتة ، و انتهت بذلك الأسرة السيفية من الحكم بصورة عملية، ثم عاد أحمد مرة أخرى و لكنه كان تحت إشراف الشيخ محمد الأمين الكانمي.

و يمكن تحديد تواجد قبائل البرنو في غرب إفريقيا كالتالي:

- مرقى، و ينتشرون في نيجيريا و تشاد و السودان.
- وندلا أو مندرا ، و ينتشرون كذلك في كل أنحاء نيجيريا و شمال الكمرون و تشاد و السودان و يدينون بالإسلام كما اعتنقه شومسكو و إن كان رعاياهم مازال بعضهم على الوثنية.
- بدى و ينتشرون في كل أنحاء نيجيريا و بالذات منطقة ميدغري و أرض برنو عموما و تشاد و السودان.
- بابور الذين يتواجدون في نيجيريا و السودان.
- فلاتة و قد سبق ذكرهم في الباب الأول.
- تراب و ينتشرون في نيجيريا و السودان.
- أنفسا و ينتشرون ما بين نيجيريا و السودان.
- الباللة و يتواجدون ما بين نيجيريا و السودان بما في ذلك الكمرون و تشاد.

● قبائل الهوسا :

الكتابة عن الهوسا لا تخرج عن دائرة الروايات شبه الأسطورية، التي أعتبرها حقائق تاريخية تحتاج إلى المزيد من الدراسة مع البحوث الميدانية لنرى مدى تطابق ما ذكر منذ آلاف السنين مقارنة بواقع الهوسا اليوم.

فمن هم الهوسا ؟

قسم علماء اللغات اسم هوسا إلى قسمين:

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

1- هو بمعنى أركب 2- سا بمعنى الثور أي بمعنى راكب الثور.

و يعتقد كثير من المؤرخين أن لغة الهوسا أو اللغة التي أطلقوا عليها اسم «هوسا» كانت موجودة و مستخدمة من قبل وصول الغويير إلى أرض نيجيريا إلا أن استخدام الثور كوسيلة للنقل كانت غريبة عن أهل غويير.

● **قبائل السراكولي:** وتعني الرجال الحمر، الذين يتميزون ببنية جسمانية قوية، وكانت لهم عادات وتقاليد فريدة عن باقي القبائل الأخرى، امتد نفوذهم في السودان الغربي من تمبكت شرقا حتى بلاد السنغال غربا، كان لهم دور كبير في تأسيس مدينة ولاتة بموريتانيا سنة 1203م.

● **قبائل الماندنغو:** وهي مجموعة القبائل التي تتكلم لغة الماندي، و أهمها البامبارا، و الديولا، وكان لهم دور كبير في تأسيس مملكة مالي الإسلامية،

هذا إضافة إلى قبائل سودانية أخرى منها قبائل السنغي، قبائل الموسي

● **القبائل الصنهاجية:**

يعود أصلهم إلى منطقة شمال إفريقيا، ويسمون بالبربر، وهو مصطلح أطلقه الإغريق على كل الأجناس غير الناطقة بالإغريقية، وقد انتقلت قبائل صنهاجة إلى السودان الغربي حوالي القرن الثالث للميلاد، كانا من أوائل القبائل الإفريقية المعتنقة للإسلام، وقال عنهم السعدي: "...وهم على دين الإسلام و اتباع السنة، هم يجاهدون السودان"، وقد تحكمت قبائل صنهاجة في القوافل التجارية وطرق الصحراء.

3- **قبائل بني حسان:**

وهم الذين شكلوا بمعية قبائل بنو هلال و بني سليم المجموعات البشرية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية الى شمال إفريقيا في القرن 11م، وذلك انتقاما للفاطميين من المعز ابن باديس الصنهاجي

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

الذي خلع طاعة الفاطميين، يقول عنهم ابن خلدون: "كما أنهم ينتجعون كلهم في الرمال إلى مواطن المثلثين من كيدالة وملتونة"، ومن أهم قبائلها البرابيش التي استقرت في شمال مالي.

4- قبيلة كنتة:

تعتبر قبيلة كنتة من القبائل الإفريقية التي كان لها دور بارز في التاريخ و الحياة السياسية في المنطقة، وكنته معناه الرجل القوي الشديد، تنحدر من سلالة عقبة ابن نافع الفهري، كانت تنظم قوافل الحج و التجارة، هاجرت من منطقة توات جنوب الجزائر و استقرت في المغرب الأقصى أولا ثم في موريتانيا، ومنه إلى باقي دول غرب إفريقيا، ابتداء من القرن 15م، اتخذت اسمها من جدها الأول الشيخ محمد الكنتي، أنجبت علماء أفاضل كان لهم دور كبير في الحياة الثقافية و الحركة الإصلاحية في المنطقة، على رأسهم الشيخ أحمد البكاي صاحب الطريقة القادرية البكائية.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

المحاضرة الثالثة

1- انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء

قبل الحديث عن الممالك الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء، لابد من التطرق إلى الحديث عن الكيفية التي انتشر بها الإسلام في هذه المنطقة وكيف تحولت من ممالك وثنية و متخلفة إلى ممالك سيده تساهم في نشر الثقافة و الحضارة ذاع صيتها أصقاع المعمورة.

و يمكن ان نلخص مراحل انتشار الإسلام في هذه المنطقة كما يلي:

- **المرحلة الأولى:** المرحلة التي بدأ فيها الإسلام يف الانتشار وتبدأ عام 640م و تنتهي حوالي 1050م ، امتدت من ساحل البحر المتوسط شمالا إلى السودان جنوبي الصحراء الكبرى.

- **المرحلة الثانية:** كان الإسلام قد توقف قليلا في أخريات القرن العاشر بسبب ثورات البربر و حروب الروم و فتن ملوك المغرب، و لكنه في القرن الحادي عشر استأنف همته و دخلت في حظيرته قبائل الصحراء و أسست في السودان ممالك ومراكز كبيرة كان لها أثر خطير في نشر الدعوة الإسلامية، و يمكن القول أن هذا الدور كان بين القرن الحادي عشر والسابع عشر و كان مجاله الرئيسي غرب إفريقيا و السودان الغربي بين الزنوج.

و يظهر أن البربر أول من أدخلوا الإسلام في البلاد التي يرويها نهر السنغال و النيجر. حيث اتصلت بممالك وثنية وكان بعضها مثل غانا و سنغاي عريقا في القدم و كانت القبيلتان البربريتان لمتونة و جدالة اللتان تنتميان إلى صنهاجة تتميزان بحماستهما الدينية في تحويل الناس إلى الإسلام و بمجهودهم أثرت حركة المرابطين في قبائل السودان الوثنية، و كان عهد يوسف ابن تاشفين مؤسس مراكش 106م و ثاني أمراء دولة المرابطين حافلا جدا بدخول الناس في الإسلام.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

و في عام 107م طرد البربر الذين ظلوا وقتنا ينشرون الإسلام في مملكة غانا الأسرة الحاكمة و أسلم الكثير من أفراد الشعب، و في القرن الثالث عشر فقدت غانا استقلالها و احتلالها المندنجو (مالي)، أما عند دخول الإسلام سنغاي فالذي يعرف أول ملوكها المسلمين يسمى زاكس من أسرة زا و قد اعتنق الإسلام عام 400 (1090م-1010م) .

1- عوامل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا:

1- الفتوحات الإسلامية:

بعد أن أتم عقبة ابن نافع فتح بلاد شمال إفريقيا، و فتح بلاد فزان في عام 649م في وسط وجنوب ليبيا اتجه جنوبا حتى وصل منطقة حدود ليبيا و النيجر وقد فتح هذه البلاد و صار على مشارف بلاد السودان الأوسط. أما عن منطقة السودان الغربي فقد قام عقبة بقيادة حملة وصلت حتى بلاد السوس في المغرب ولامست حدود بلاد السدان الغربي، ويصف ذلك ابن خلدون: "فأجاز إلى بلاد السوس، لقتال من بها من صنهاجة، وهم يومئذ على دين المجوسية، وقاتل من وراء السوس وسبي منهم وقفل راجعا"، ثم أرسل موسى ابن نصير عام 705م حملة إلى بلاد السودان الغربي على رأسها العديد الدعاة و العلماء الذين كان لهم الفضل في نشر الإسلام، ثم جاءت بعده حملة حبيبن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع سنة 735م، ثم حملة ابنه عبد الرحمن سنة 775م الذي قام بحفر الآبار على طرق الصحراء

2- دور التجارة في انتشار الإسلام في إفريقيا:

لقد اقترن انتشار الإسلام في السودان الغربي بالنشاط التجاري الذي ربط تلك المنطقة مع بلاد المغرب، وكان للتجارة دور كبير في نقل الثقافة الإسلامية إلى منطقة غرب إفريقيا، وذلك لأن التجارة كانت قد تطورت تطورا هائلا بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا و بين غربها عبر الصحراء، فالتجار الأفارقة كانوا على اتصال بالتجار المغاربة ليأخذوا منهم تعاليم الإسلام وثقافته، و أصبح هؤلاء التجار دعاة لهذا الدين

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

بين أقوامهم من الزوج، و لا بد من الإشارة إلى أن تقنيات الكيل و الميزان قد انتقلت إلى تلك البلاد قادمة من المغرب.

كان التاجر المسلم داعية لدينه يجمع بين دعوته وتجارته بالكلمة والسلوك السوي والصلة بمن يتعامل معهم فيثقون به ثقة تنفي عنه أي اتهام له بدوافع استغلالية، هذا فضلا عما يتحلى به من سمو عقلي و سلوك حضاري يفرض على الوثنيين احترامه والثقة به واجتذابهم للاقتداء به و تقليه.

من خلال هذا الوصف نستخلص الدور الذي لعبه التاجر المسلم في الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا و كيفية انتقال الثقافة بشكلها العام وعناصرها المختلفة العقائد والنظم والعادات و القيم إلى المجتمعات غير المسلمة في هذه الرقعة من الأرض، الذي يعد نموذجا حيا لكيفية دخول الثقافة الإسلامية في إفريقيا عبر واحدة من أهم الوسائل التي انتقلت بها إلى القارة السمراء و هي التجارة.

2- دور المساجد في نشر الإسلام:

يعتبر المسجد في التاريخ الإسلامي القيادة العامة للدولة، ففيه تسير الحروب و تشرع الشرائع، وتدار سياسة الدولة، كما يعتبر مركز إشعاع علمي وثقافي باعتباره أداة الثقافة، و أداة الإعلام، و أداة التعليم، و الأداة الاجتماعية لتقوية الصلة بين جماعة المسلمين، و إذا كان الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، قد شرع بعد هجرته إلى المدينة في بناء مسجده كأول عمل له بها، فإن هذا التقليد قد أصبح سنة تتبعها جماعة المسلمين أينما حطت رحالها.

وكان لهذه المساجد باعتبارها مراكز ثقافية كبرى، أثر كبير في الحركة الثقافية الإسلامية في المنطقة، فكانت منطقة خصبة تسابق نحوها العلماء لنشر الإسلام . إذ يؤكد أغلب المؤرخين أنه بجهود العلماء تغلغت الثقافة العربية في إفريقيا الغربية، فكان للعرب في عاصمة غانا القديمة كمي صالح اثني عشرة مسجدا ألحق لكل مسجد مدرسة لتعليم اللغة و الفقه الإسلامي ثم أصبحت اللغة العربية لغة التدوين في شتى أنحاء

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

القارة، لقد توسعت اللغة العربية فامتزجت بلغة الفلان ينتشرون في أنحاء غرب إفريقيا و المبارا في المالي و
الولوف بالسينغال وغامبيا.

4- دور الدعاة والفقهاء في انتشار الإسلام في غرب افريقيا:

لقد كان لوجود بعض الدعاة و الفقهاء، إضافة إلى التجار المسلمين، دورا بارزا في تغلغل الإسلام وسط
شعب وثنى، لما كان لهم من علم وورع وحسن السلوك و الدعوة بالتي هي أحسن كما فعل قبل ذلك
الرسول الكريم ومن بعده السلف الصالح، ففي تمبكتو وحدها نجد أكثر من عشرين رجل علم وفقه جاؤوا
من شمال إفريقيا للمساهمة في أسلمة المجتمع الإفريقي بالجهاد السلمي، فأثر هذا السلك في الحكام قبل
الرعية، فنراهم - كما كتب عنهم المؤرخون- يستأنسون للدين الإسلامي، بل منهم من اعتمده كدين رسمي
لدولته، فساعد هذا على نشر تعاليم الدين الإسلامي في غرب إفريقيا.

وفي هذا الموضوع نذكر ما ذهب إليه البكري في ذكره لأحد ملوك مالي الذي عرف بالمسلماني لأن
بلاده اجذبت عاما من بعد عام استسقوا بقراينهم البقر حتى كانوا يفنوها و كان عندهم ضيف من
المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة فشكا إليه الملك ما دهمهم من ذلك فقال له: أيها الملك، لو آمنت بالله
تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد صلى الله عليه و سلم وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الإسلام كلها
لرجوت لك الفرغ فيما أنت فيه وحل بك وأن تعم الرحمة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك
وناءوك، فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته و أقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه و علمه من الفرائض و
السنن ما لا يسع جهله ثم أمهله إلى ليلة جمعة فأمره فتطهر طهرا سابغا وألبسه ثوب قطن كان عنده، وبرزا
إلى ربوة من الأرض فقام المسلم يصلي و الملك عن يمينه، والمسلم يدعو والملك يؤمن فما انفجر الصبح إلا
و عمهم الله بالسقيا، فأمر الملك بكسر الدكاكير (الأصنام) و أخرج السحرة من بلاده وصح إسلامه
وإسلام عقبه وخاصته وأهل مملكته المشركون فسموا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسلماني.

ومن ذلك يتضح مكانة العلماء الكبرى في الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا أولئك الشيوخ الذين
يهاجرون بعلمهم وكتبهم إلى أصقاع إفريقيا و يعيشون بين الشعوب الإفريقية حتى يؤثروا فيهم ذلك التأثير

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

الذي يصل إلى حد الإعجاز مما يكسبهم احترام أولئك الملوك وتقديرهم، فهذا ملك كانم بعد أن أسلم على يد الداعية المسلم محمد بن ماني أو الهادي العثماني يصدر مرسوما ملكيا عرف ب: محرم عام 1086م. يمكن القول في الأخير أن الدعاة القادمين من شمال إفريقيا إلى غرب إفريقيا كانوا أحسن نوعية وأكثر نضوجا و رسوخا في المعرفة و العلوم الإسلامية من الدعاة القادمين من المحور الجنوبي للجزيرة العربية إلى قرن و شرق إفريقيا، و من أربعة عشر عالما و رحالة و داعية إلى الإسلام أو مؤرخا له تشملهم قوائم التاريخ كلهم من مصر و شمال إفريقيا و لا يوجد بينهم شخصيات إسلامية قدمت من الجزيرة العربية إلى إفريقيا سوى الشيخ يوسف اخوان و زملائه الأربعة، و من هؤلاء العلماء نذكر اليعقوبي وابن حوقل والمسعودي و البكري و الإدريسي و القرطاني و العمري و ابن بطوطة و ابن خلدون والقلقشندي و المقرئزي و حسن ابن محمد الوزان و ابن الوزان الفاسي المشهور بالإفريقي.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس) الحاضرة الرابعة

I- ممالك السودان الغربي

1- مملكة غانا:

تعتبر مملكة غانا من أقدم الدول التي عرفت في غرب إفريقيا وأول إمبراطورية ذات نفوذ إسلامي ،
وظهرت في تلك المنطقة خلال العصور الوسطى وكانت هذه المملكة تقع في المنطقة الممتدة بين ما هو
الآن جنوب شرق موريتانيا وغرب مالي والسنغال وشرق غينيا كوناكري التي عرفت آنذاك بلغة البلاد باسم
واغادو.

لقد تعاقبت على منطقة السودان الغربي امراطوريات وممالك لعبت دورا في ازدهارها شملت امراطورية
غانا الوثنية اولى حلقات التاريخ القومي لغرب افرقيا فهي اول امراطورية قامت بالسودان الغربي ولعلها
اولى تجربة او اقدم ما عرف من التجارب الحكم الوطني الناجح بتلك البلاد وقد دل ازدهارها على بقائها
الى القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي¹⁵

1- أصل اسم غانا:

عرفت غانا بهذا السم بالنسبة الى عاصمتها مدينة غانا GHANA وذكرها البكري بقوله " وغانة
سمة للملوهم واسم بلد او كرا"¹⁶ اقتبست مملكة غانا اسمها من المدينة التي كانت عاصمة للدولة أي مدينة
غانة وبعد القرن التاسع الميلادي عرفت العاصمة باسم كومي صالح وهي الآن مندثرة وتقع اليوم جنوب
شرق موريتانيا. وكلمة غانة في لغة قبيلة السوتنكي تعني القيادة العسكرية ومن هنا أطلق هذه الكلمة على
المدينة التي كانت بها القيادة العسكرية.

2- تاريخ المملكة:

¹⁵ -الهادي المبروك الدالي ، نفسه ص21

¹⁶ -ابو عبيد البكري المصدر السابق م ص871

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

اختلف الباحثون في تحديد ظهور غانا فمهم من يرجعها إلى القرن الأول الميلادي على يد جماعة من البيض وهناك من يرى أنها تعود إلى القرن الخامس الميلادي ثم برز مجدها في القرن التاسع ميلادي إلى منتصف القرن الحادي عشر، ويرى بعض المؤرخين أنها تأسست عام 300 م.

وهناك بعض القصص المتوارثة بين قبائل السوننك الذين يعتبرون البذرة الحقيقية التي تفرعت عنها أرجاء الإمبراطورية، وتقول إحدى هذه القصص أن قبائل السوننك قد تعرضت في القرن الرابع ميلادي إلى غزو كبير من بعض قبائل البربر الرعاة التي تعيش في مناطق الشمال الإفريقي وقد امتزج البربر تماما بقبائل السوننك وعاشوا حياتهم وتكلموا لغتهم الماندي وكانت نتيجة هذا الامتزاج ظهور مملكة جديدة في غرب إفريقيا وهي مملكة وجادو وهو اسم مستمد من عشيرة وجادو ومن مدنها أوداغوشة وتيشت وولانطل إمولاتن ونيمة وتجييدار وديارا والخربة وتيورو وصوصو.

3-عاصمة غانا:

في منتصف القرن 11 ميلادي حيث وصلت مملكة غانة إلى أوج عظمتها كانت لها عاصمتان منفصلتان تقومان على هضبتين بينهما تسعة كيلومترات، العاصمة الأولى للوثنيين وكانت تسمى الغابة وهي القسم الإداري الرسمي للمملكة وفيها يعيش الملك وبلاطه وكبار الوزراء ورجال الدين أما العاصمة الثانية حيث يقطن المسلمون فهي مدينة كومي صالح وقد بنيت على مدن المغرب، وكانت العاصمة آنذاك بشطريها تقع على نهر وهو أحد روافد النيجر (حاليا قد جف هذا الرافد ولم يعد متواجدا).

4-الأوضاع الاقتصادية لغانة:

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

كانت الأحوال الاقتصادية لغانة مزدهرة جدا وكانت الحياة بها حياة غنى ورخاء وقد اعتمد

اقتصادها على العوامل التالية:

1. **الذهب:** يعتبر أهم عامل في ازدهار اقتصاد غانة إذ اكتسبت هذه المملكة شهرة عظيمة من وجود الذهب في أراضيها حتى أن ملكها كان يدعى ملك الذهب، تواجد الذهب في مملكة غانة في منطقة بامبوك الواقعة بين نهر السنغال وروافده الجنوبية ومنطقة ونقارة التي تقع في جنوب المملكة وكانت تجارة الذهب رائجة خاصة مع العرب المسلمين.

2. **التجارة:** ومن ناحية أخرى كانت غانا محطة للقوافل القادمة من مصر والقيروان والمغرب والقوافل القادمة من المناطق الجنوبية، وكان القسم الإسلامي من العاصمة أي كومي صالح هو المركز التجاري للإمبراطورية وكانت تعتبر من أهم الأسواق التجارية في زمانها خصوصا تجارة الجملة، وكانت تزدهم فيها القوافل التجارية وتكثر فيها مستودعات التجار الأجانب وكانت صادرات غانا إلى الشمال تتمثل في العاج وبيض النعام والصمغ وبعض الجلود بالإضافة إلى الذهب غير أن رواج التجارة يعود إلى الأمن الذي كان سائدا في جميع طرقات مملكة غانا مما ساعد في انتعاش الحياة الاقتصادية¹⁷.

3. **نظام الضرائب:** عرفت غانا نظام الضرائب وكانت تفرض رسوماً على القوافل القادمة أو العابرة.

5- **الاضع السياسية:** كان ملك غانة له الحكم المطلق للدولة وقراراته فيها وكان ينظر إليه على أنه ممثل للإله لأنه زعيم عظيم لأقوى القبائل وكان الملك أيضا القائد الأعلى للجيش وتقع على عاتقه حماية جميع الأراضي التابعة للمملكة وتأمين الاستقرار فيها إذا تعرضت لهجوم خارجي، وقد وصل عدد الجيش في المملكة إلى مئتي ألف منهم 40 ألف من الرماة، وكان معظم هذا الجيش من قبيلة الجيش ومن بعض المرتزقة وإلى جانب المهمات الأمنية كان على الملك تأمين التسهيلات الضرورية لانتعاش التجارة بين أبناء شعبه والعالم الخارجي، وكان للملك وزراء يساعده في حكمه بالإضافة إلى عدد من الموظفين المتدربين معظمهم من المسلمين الذين ينتمون لقبيلة السوتنكي والذين يجيدون القراءة والكتابة ولديهم معرفة في

¹⁷ - ابو عبيد البكري، المصدر السابق، 871

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

شؤون العالم وفي الشأن الإداري. كان الملك يعين حاكماً على العاصمة كومي صالح وحاكماً آخر على المناطق التي كانت مصدر قلق في شق الطاعة عن المملكة أما المناطق التي كانت تبدي ولاء فكان نصيبها الحكم لذا وعند وفاة الملك فإن ابن الأخت هو الذي يعتلي العرش، ولم يكن يدفن بل كان يبني الشعب له قبة عظيمة من الخشب والعاج وتوضع في موضع قبره ويدخل جثمانه فيها ومع حلّه وسلاحه وآنيته والطعام والشراب والخدم ويغلق عليهم باب القبة¹⁸.

6- تأثير الإسلام في مملكة غانا:

كان الإسلام في مملكة غانا الوثنية حاضراً وله تأثير قوي على عدة أصعدة وهذا ما جعلنا تدرج هذه المملكة في خانة النفوذ الإسلامي في غرب إفريقيا وكان التأثير الإسلامي في غانا الوثنية على الصعيد التالي:

1- الصعيد الإداري: إن المسلمين في غانا من السوتنكي الوطنيين أو من المستوطنين العرب والبربر وتمتعوا باحترام من قبل الملوك الوثنيين وقد أورد الملك أن تراجمة الملك وأكثر وزرائه كانوا من المسلمين وكذلك صاحب المال (وزير الخزينة)، وكذلك كان أكثر الجند من المسلمين، وقد ترفع المسلمون عن الركوع أمام الملك بعكس الوثنيين ويقول البكري: "وأن أهل دين الملك كانوا إذا دنوا منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له أما المسلمون فإنما كان سلامهم عليه تصفيقا باليدين".

2- على الصعيد السكاني: كان للمسلمين شطر خاص بهم من العاصمة وكان لهم فيها مساجد وأئمة ومؤذنين وحملة علم، وكان هذا الجزء أكثر تحضراً من الوثني، وهذا يدل على الاحترام والمكان الذين تمتع بها المسلمون في غانا رغم كون الحكم وثنيا فيها، وقد كثر المسلمون في مملكة غانا الوثنية حتى أصبحت بلاد خاصة بهم.

¹⁸ - جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، 1999م، ص126.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

3- على الصعيد الحضاري: عندما قدم المسلمون إلى كوني صالح، وهي الشطر الإسلامي من العاصمة بنوا بيوتا على طراز مغربي جميل الملك والأشرف والمهندسين المعماريين من فاس لبناء القصور الذي لم يكن معهوداً في المملكة، كما أن عدد المدارس في تعليم القرآن والسنة والعربية مما جعل العربية لغة الثقافة الوحيدة في البلاد بالإضافة إلى انتشار العادات والتقاليد الإسلامية ومنها لبس العمامة.

7- سقوط غانة:

شهدت غانة صراعاً مع القبائل الوثنية منها صوصو وسونكي المتواجدة في إقليم الجنوب ومع المثلثين المسيطرين على المنطقة الممتدة من شمال المملكة من شمال المغرب بحيث استطاع يحي بن إبراهيم وعبد الله بن ياسين من تأليف وتوحيد قبائل المثلثين على أسس الإسلام الصحيحة. هاجم عبد الله بن ياسين مدينة أوداغست وذلك لاستردادها من غانة الوثنية¹⁹، وحملها على اعتناق الإسلام محققاً الأهداف التالية:

- نشر الإسلام في البلاد الوثنية.

- الاستيلاء على مدينة أوداغست التي تتحكم بأهم الطرق التجارية التي تجتاز الصحراء.

- الثأر لمناطق المثلثين من هزيمة على أيدي الغانيين.

هاجم المرابطون مملكة غانة عام 1056 م وألحقوا بالمملكة هزيمة نكراء ، وقد أسلمت بعض القبائل الزنجية وتوحدت مع المرابطين وبعد جهود دامت حوالي 15 سنة وتعاون مع التكرور الزنوج ثم الاستيلاء على مدينة كومي صالح عام 1076 م والقضاء على حكامها وتم السيطرة على مناجم الذهب في وانقارة وبعد موت أبي بكر عام 1086 م آل الأمر إلى يوسف بن تاشفين رجل دولة المرابطين فواصل الاهتمام هو وولاته بنشر الإسلام ومحاربة الوثنية في أرجاء مملكة التي سقطت في أيدي قواته.

19 - المنجد صلاح الدين ، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمس ، دار الكتاب الجديدة ، ص102

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

غير أنه وبعد حوالي قرن من الزمن تفككت المملكة ودب الضعف فيها واستطاع إقليم صوصو في كانياجا المتواجد غرب مالي من استعادت استقلالهم تحت قيادة الإمبراطور سومانقورو الذي قام باحتلال مدينة ديارا، وتمكن جيشه من السيطرة على كومي صالح 1203 أين اضطهد المسلمين وعزى سومانقورو مدينة ماندينكو (مالي) واستولى عليها بين أعوام 1224-1230 وقتل حوالي 11 ملكاً ولكن الملك الثاني عشر سوندياتا تمكن من قتل سومانقورو في معركة عام 1235 وحرر مالي وسكانها من عبوديته وظلمه وواصل فتوحاته ووصل إلى عاصمة غانة القديمة واستولى عليها سنة 1240 ودمرها واستبدل دولة صوصو بدولة مالي.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

المحاضرة الخامسة

2- مملكة مالي :

امتد حكم مالي على شعب المانديغو المعروف بهذا الاسم على جمهورية مالي الحالية وعلى السنغال الشرقي وشمال غينيا وشمال كل من بوركينا فاسو (فولتا العليا) والبنين (الداهومي سابقا) و الجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا ، قدر المؤرخون العرب أنها مسيرة أربعة أشهر من الغرب إلى الشرق وثلاث أشهر من الشمال إلى الجنوب²⁰.

تتألف مملكة مالي من خمسة أقاليم كل منها مملكة مستقلة ذاتيا تحت سلطة صاحب مالي أو سلطان مالي وهي :

- 1- إقليم مالي يتوسط الإمبراطورية
- 2- إقليم صوصو إلى الغرب من مالي كاتنجا.
- 3- إقليم غانة غرب صوصو ويمتد إلى سواحل المحيط الأطلسي وبين مناجم الذهب التي يحدّها جبال سجلماسة وبلدان المغرب الشمالية.
- 4- إقليم كوكيا شرق إقليم مالي وقاعدته كوكيا التي تبعد مسافة شهر ونصف على غانة كومي (غرب نيجيريا الحالية) .
- 5- إقليم التكرور غرب إقليم كوكيا وقاعدته تكرور.

وقد كان شعب المانديغو من بين أوائل شعوب غرب إفريقيا التي اعتنقت الإسلام وكان في البداية يدين بالولاء لمملكة غانا وكانت مالي من أقوى وأعظم دول السودان الغربي وأغناها وقد بدؤوا يؤسسون

²⁰ - صلاح الدين المنجد، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب الجديد، 2016، ص10

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

مملكتهم نحو الجنوب الشرقي واصطدموا بملك صوصو سومانقور الذي سبق ذكره ، غير أن الملك سونديانا كيتا المالي استطاع منذ عام 1320 أن يواجه ملك صوصو ويوسع مملكة مالي ويهزم الملك سومانجور عام 1235م ويضم مملكته إلى دولة مالي وتفرغ بعد ذلك إلى ما تبقى من دولة غانا ، وفي سنة 1240م قام سونديانا بغزو مدينة كومبي وضمها إلى إمبراطوريته وبذلك تمكن من القضاء على آخر ذكريات إمبراطورية غانا وقد نقل عاصمته من جديب إلى نيامي التي تنتمي حاليا مالي جنوب نهر النيجر وشمال شرق غينيا الحالية والتي تعني في اللغة الماندية : حيث يعيش الملك²¹.

وكان الدين الإسلامي الذي اعتنقه إمبراطور مالي منذ البداية خير سند للملك سونديانا وقد كان بدوره مسلم متعصب في نشر الإسلام واستتباب الأمن والنظام في جميع الإمبراطورية حيث استعيدت الصلات مع التجار المسلمين الذين كانوا قد انتقلوا إلى مدينة ولات هروبا من ظلم الملك سومانجورو .

وتؤكد الشواهد التاريخية أن الملك سونديانا كان حاكما متنورا كافح وناضل من أجل مصلحة شعبه وأقام نهضة اقتصادية تمثلت في نشر التجارة والصناعة، كما شجع شعبه على الزراعة، فأدخل زراعة القطن الذي أصبح دعامة أساسية في اقتصاد الإمبراطورية.

وفي سنة 1255 مات الملك سونديانا بطريقة فجائية غامضة ولكنه ترك إمبراطورية قوية تعتبر تاريخيا الإمبراطورية الثانية من سلسلة الممالك والإمبراطوريات الكبرى.

● عهد منسى علي 1255-1270:

بعد وفاة سونديانا خلفه ابنه البكر أولين الذي يعرف عند العرب بعلي، وهو الذي أدخل عليه لقب منسى علي ملك المملكة ، وقد قام بتأسيس بلاده في الحدود الشمالية وقام بأداء فريضة الحج وكان منسى علي رجلا محبا للإسلام والتقوى مما ساعد على انتشار الإسلام في عهده.

²¹--صلاح الدين المنجد، المرجع السابق،ص56.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

● عهد حلفاء منسى علي:

توفي علي وتعرضت البلاد إلى اضطرابات نتيجة تولي العرش ملوك ضعاف من بينهم "منسى واني" و"منسى خليفة" الذي كان معتوه بحيث قام بقتله شعبه وجاء بعده أبو بكر وهو حفيد سونديانا ثم توالى على العرش حكام عدة آخرهم أبو بكر الثاني الذي ركب المحيط الأطلسي سنة 1311 ليكتشف ما بعده ولم يعد.

● عهد منسى موسى 1312-1337:

جاء بعد أبي بكر الثاني منسى موسى وهو أحد أقرباء سونديانا وفي عهده أصبحت مالي إمبراطورية عظيمة وقوية واسعة تمتد من غاو في الشرق إلى المحيط غرباً وفي الشمال امتدت داخل الصحراء مستولية على مناجم الملح والنحاس في مدينة فلاتة وفي الجنوب فلامست مالي حدود نيجيريا وما يسمى اليوم البنين، ويعد منسى موسى من أعظم ملوك مالي وكان رجلاً كريماً صالحاً متسامحاً في عهده دخل الإسلام البلاط الملكي وأصبح دين الدولة الرسمي وأصبحت مالي جزء من العالم الإسلامي فأقام علاقات مع مصر والمغرب²².

وفي عهده بنى العديد من المساجد والمكتبات والمدارس خاصة في تمبكتو حيث بنى جامعة شنكوري وأرسل طلاب إلى فاس والقاهرة على نفقته.

ولعل أهم حدث في عهد منسى موسى هو رحلته الشهيرة إلى الحج سنة 1324 التي لفتت أنظار العالم في ذلك الزمن إلى ثروة مملكة مالي الطائلة فحسب المصادر فقد أخذ موسى في رحلته كمية هائلة من الذهب تقدر بمائة جمل واصطحب زوجته وخدمها و60000 شخص من رعاياه ووزراء وقادة وعلماء وكان كل يوم جمعة يبني مسجداً في المكان الذي يتوقف فيه. مر منسى موسى في طريق ذهابه

²² - فيصل محمد موسى ، موجز في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة ، 1997، ص80.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

بمدن ولانة وتوات وغدامس وسيرت في برقة ثم الاسكندرية ثم القاهرة أين استقبل بحفاوة من طرف السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون وقد قدم هذا الأخير الكثير من الهدايا للمرحبين به وورع الكثير من الذهب بحيث انحطت قيمة الذهب في القاهرة لعدة سنوات وفي الحجاز أدى فريضة الحج وزار المدينة المنورة.

مراحل امبراطورية مالي:

1- مرحلة التأسيس:

تمتد بين 1225 و 1455 وفي هذا الدور امتد حكم مالي على كل مملكة غانا القديمة التي ألحقت بمالي نهائياً عام 1240، كما بدأت في التوسع اتجاه الشرق وفي هذا العهد اتخذ أمراء الماندينغو لقب المنسا أي السلطان لأول مرة، وبدأوا في تنظيم إمبراطوريتهم، ففي البداية بنيت عاصمة الإمبراطورية وهي مدينة نياتي على شاطئ نهر السانكاواني (في شمال شرق غينيا حالياً) وهو أحد الروافد الهامة للنيجر ثم قسمت الإمبراطورية إلى مقاطعات ولي عليها أفراد من العائلة الملكية وجعل حكمها وراثياً فيهم، وقد اتبع ملوك مالي سياسة الصداقة والمصاهرة مع زعماء القبائل في إمبراطوريتهم فانقادت لهم.

أما ميدان التنظيم الاقتصادي فقد عمل حكام مالي على تشجيع زراعة القطن ونظموا جباية الضرائب على الواردات والصادرات على غرار ما كان في مملكة غانا ولكن أسلوبهم كان أكثر إحكاماً.

2- دور الازدهار والقوة:

استمر طيلة القرن الرابع عشر تقريباً فعم الأمن كل جهات الإمبراطورية وازدهر اقتصادها وتعود عوامل ذلك في تلك الفترة إلى:

1- تنظيم المؤسسات الإدارية حيث أن الطريقة التي اتبعتها حكام مالي منذ البداية كانت تعتمد على

رؤساء القبائل بالدرجة الأولى فما فتح جيش مالي منطقة إلا وعهد بإدارتها إلى العائلات النافذة فيها

من قبل.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

2- اجتهاد حكام مالي في إقامة الأمن، فجاب التجار أرجاء المملكة وتوافدوا خاصة من المغرب ومصر وكانت الحكومة تجني ضرائب منتظمة ومحددة على الواردات والصادرات فكثرت المال بيد الحكومة وامتألت خزائنها مما ساعدها على تكوين جيش قوي وعلى الانفاق على مختلف المشاريع بسخاء.

أما جيش مالي فقد أصبح في هذه الفترة أقوى جيش في إفريقيا الغربية كلها إذ ربطت مالي علاقات دبلوماسية نشيطة مع بلدان المغرب ومصر كما اتصلت لأول مرة بالبرتغال.

3- مرحلة الضعف:

دخلت مملكة مالي في طور الضعف منذ بداية القرن الخامس عشر واستمرت تعاني من الاضطرابات التي ما فتئ المنافسون على العرش بين أفراد الأسرة الحاكمة يدبرونها بما لم يسبق مثيل في تاريخ الامبراطورية قبل ذلك.

ومع بداية القرن السادس عشر اقتطعت منها مناطق شاسعة في الشرق والشمال والجنوب فأصبحت عبارة عن مملكة صغيرة بين ممالك جديدة ناشئة في عدة جهات من أراضي الإمبراطورية قبل ذلك وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر تمكن إحدى الممالك الناشئة وهي مملكة صنغاي أن تبسط نفوذها نهائياً على أراضي الإمبراطورية الشاسعة جميعها وتقسيم على أنقاضها إمبراطورية جديدة أخذت عن مالي كثيراً من أنظمتها الإدارية والاجتماعية ولكنها كانت أكثر تفتحاً على الخارج وكان ملوكها في البداية أكثر نشاطاً وجرأة على استهداف التطور فنالت من أسباب القوة والازدهار أكبر مما وصلت إليه مالي.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

المحاضرة السادسة

3- مملكة صنغاي:

لقد بلغة امبراطورية غانا وامبراطورية مالي اتساعا عظيمًا في كل مرحلة من مراحل قوتها واستطاعا السيطرة على مناطق واسعة من غرب افريقيا (مناطق السودان الغربي جنوب الصحراء الكبرى) لكن اي هاتين الامبراطوريتين لم تبلغ ما بلغته امبراطورية الصنغاي SONGHAI من القوة والسيطرة في خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر الميلاديين²³ تعد هذه المملكة من أطول الدول عمراً في غرب إفريقيا وكانت تقع شمال ما يسمى اليوم بنين وبوركينا فاسو وغرب النيجر وكانت عاصمتها مدينة غاو التي تقع على نهر النيجر²⁴.

1- تاريخ المملكة:

ويرجع اصل قبائل الصنغاي الى قبيلة نشأت على ضفاف نهر النيجر الاوسط في الفترة الوثنية ما بين القرن التاسع الميلادي حين غزت قبيلة ضيا وهي احدى القبائل واسسوا اسرة حاكمة هي اسرة "ضيا" وتولى الملك اول ملك لهذه القبائل بدأ ظهور هذه المملكة في القرون الأولى للميلاد وعاصرت إمبراطورية مالي وغانة وينقسم تاريخ الصنغاي إلى قسمين:

مراحل تكوينها :

²³ -جون جوزيف، الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء ترجمة مختار السويدي دار الكتاب المصري الطبعة الاولى 1984م ص81

²⁴ - محمد فاضل علي باري و سعيد ابراهيم كريدية، لمسلمون في غرب افريقيا، دار الكتاب العلمية بيروت لبنان 2015، ص89

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

أ- الفترة الوثنية لمملكة الصنغاي:

الصنغاي مجموعة قبائل زنجية كانت تعيش أصلاً في منطقة دندي على نهر النيجر وقد انقسمت هذه القبائل إلى قسمين: قيم اشتغل بالزراعة وقسم اشتغل في صيد الأسماك، وتعود الصيادون أن يهاجموا على قرى الفلاحين من حين لآخر ويخطفوا من متاعهم ويقتلوا من يتعرض لهم ويهربوا قبل أن يتجمع الفلاحون ، وفي حوالي 700 م هاجرت جماعات من قبيلة لمتونة البربرية إلى مناطق الفلاحين واستطاع أحد أفراد هذه القبيلة واسمه زا اليمين أن يهاجم الصيادين في المكان الذي يختفون فيه ويطردهم بعيداً نحو الشمال ففرح الفلاحون بهذا الانتصار ونصبوه عليهم ملكاً وهكذا أصبح ملوك الصنغاي من البربر البيض واستمروا بذلك لفترة طويلة.

ب- الفترة الإسلامية:

بدأ الإسلام يدخل للمملكة بين صفوف شعب صنغاي في ظروف متشابهة لنفس الظروف التي تسري بين شعبي غانا ومالي وغيرها وذلك عن طريق حركة القوافل التجارية أو عن طريق هجرات القبائل العربية والبربرية، أو عن طريق الدعاة الذين يخرجون للجهاد في سبيل الله لإعلاء لكلمة الله.

ويقال إن الأسر المهاجرة إلى صنغاي في أوائل القرن الثامن هجري اختلطت بالسكان ومن ثم بدأ الإسلام ينتشر وقد اتخذت هذه القبائل التي بسطت نفوذها على أهالي تلك المنطقة عاصمة لها وهي كوكو أو (كوكيا) ونظراً لموقعها الممتاز وأهميتها التجارية فإنها ارتبطت بعلاقات تجارية وثيقة مع التجار المسلمين²⁵.

وفي بداية القرن الحادي عشر وبالتحديد عام 1010 م أسس الملك زاكوس أو كوزي Kosi أول عاصمة للمملكة وهي مدينة غاو Gao وقد اعتنق الملك الإسلام وأصبح من المعتاد بعد ذلك أن يكون حاكم قبائل الصنغاي من المسلمين رغم أن القبائل نفسها لم تعتنق الإسلام وظلت على ديانتها القبلية.

25 - محمد فاضل علي باري و سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص 114

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

وقد أصبحت غاو عاصمة مملكة الصنغاي مركزاً تجارياً هاماً في تلك المنطقة وجاء إليها التجار العرب المسلمون من مصر ومن البلاد الإسلامية في شمال إفريقيا وجعلوها محطة لتجارهم سواء مملكة الصنغاي نفسها أو مع القبائل والممالك الأخرى من جيرانهم في المناطق الواقعة غرب الصنغاي وسرعان ما أصبحت مدينة غاو مثل مدينة تمبوكتو من ناحية الدعوة إلى اعتناق الديانة الإسلامية كما وقدم إليها العلم من مناطق المملكة ومن المناطق الأخرى المجاورة

2- تأرجح سيطرة مالي على الصنغاي :

بعد اعتناق زاكوس ملك الصنغاي الإسلام عام 1010 م حدث احتكاك بين هذه المملكة ومملكة مالي وكان ذلك لعدة أسباب منها محاولة تكوين وحدة إسلامية وكانت كفة الصنغاي هي الأقوى في هذه المرحلة أين استطاع الملك أن يقتل أبناء السلطان المالي وفي مرحلة أخرى استعادت مالي مكائتها وأصبحت دولة عظيمه سيطرت على الصنغاي وكانت مالي تأخذ رهائن من الدول المسيطرة عليها لضمان ولائها

وفي رحلة الحج الشهيرة التي قام بها موسى الأسود إلى بلاد الحجاز كان يصطحب معه في تلك الرحلة اثنين من أبناء الملك "ضيا السباعي" وهما الأميران علي كولون وسليمان وكان هذان الأميران قد احتجزا عند مالي. ويقال أن علي كولون استطاع الفرار في هذه الرحلة والتوجه إلى غاو ليعلن نفسه ملكاً، ورواية أخرى تزوي أن وبعد موت منسى موسى تولى ابنه ماغان الحكم واستطاع الأميران الهروب والتوجه إلى غاو بعد سلسلة طويلة من الحيل وكانت المملكة بدون حاكم أو ملك بعد موت ضيا السباعي وعلى الفور أعلن علي كولون نفسه ملكاً باعتباره الابن الأكبر، وأسس أسرة حاكمة جديدة هي أسرة السني وأصبح لقب سني يستعمله ملوك صنغاي بدلا من لقب زا²⁶.

²⁶-محمد فاضل علي باري و سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص125

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

3- الاستقلال النهائي لصنغاي عن مالي:

لما بدأ ضعف مالي في القرن الخامس عشر وعاد أمر صنغاي إلى ملكها محمد دوغو عام 1420 فقام بجملة من الحملات ضد مالي ونهب عاصمتها وضم كان تسيطر عليه من أرض إلى مملكته وبدأت بذلك صنغاي عصرا من الحروب والغزوات التوسعية في مناطق غرب ووسط السودان.

4 مملكة صنغاي في عهدي سني علي 1464-1492:

بعد وفاة محمد دوغو سنة 1464 خلفه ابنه سني علي الذي يعد المؤسس لدولة صنغاي، فاستولى على تمبكتو عام 1468 وطرد منها الطوارق الذين أخرجوا قوات مالي منها عام 1433. توسع سني علي وأخضع منطقة النيجر كلها واستولى على مدينة جنى عام 1473 مما أتاح له السيطرة على الطرق التجارية، وكان سني علي مسلماً ولكنه لم يكن متحمساً للدين وشعائره، وقد توفي سنة 1492 حيث كان عائداً من أحد غزواته.

5 صنغاي في عهد أسكيا محمد 1492-1528:

بعد وفاة سني علي خلفه ابنه أبو بكر عام 1492 لكن لضعفه رأى وزير والده محمد أبو بكر الانقلاب عليه واستولى على الحكم عام 1493 وأصبح لقب أسكيا لقب الملوك حتى سقوط الإمبراطورية.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

بلغت دولة صنغاي في عهد أسكيا محمد أوج ازدهارها فنظمت الإدارة وجهاز الجيش وضمت إلى سلطة البلاد أراضي جديدة في الشمال وعلى سواحل المحيط الأطلسي فاتسعت صنغاي في عهده، وقد قام أسكيا محمد بعدة تنظيمات على عدة مستويات أهمها:

- تنظيم الإدارة والجيش بحيث قام بوضع نظام إداري ممتاز يتمثل في إنشاء عدد من الوزارات وإنشاء وزارة خاصة للشعب الأبيض أي للمغاربة والطوارق الذين كانوا يعيشون على الحدود الصحراوية كما قسم محمد أسكيا مملكته إلى أربعة ولايات جعل لكل منها والي وفي نفس الوقت قائد جيش ومن جهة أخرى أولى محمد أسكيا الجيش العناية الواسعة فنظّمه تنظيمًا دقيقًا ودرّبه تدريباً كاملاً ووضع به فرقاً من الفرسان وفرقاً من المشاة وطوّر أسلحته حتى أصبح من أقوى جيوش ذلك العهد.
- التنظيم الاقتصادي: حيث قام بتنفيذ عد مشاريع تعود بالثروة والازدهار على البلاد فعمل على حفر قنوات على ضفاف نهر النيجر لزيادة مساحة الأراضي المزروعة وأنشأ أسطولاً للتموين وأقام نظام ضرائب يكون الدفع فيه عينياً وذلك ليملاً الخزينة.

6 صنغاي بعد أسكيا محمد:

تقدم أسكيا محمد في السن وفقد بصره سنة 1519 وفي عام 1528 قام أبناء محمد أسكيا فأجبروه على التخلي عن الحكم لابنه موسى ومنذ ذلك العام وحتى 1591 أخذت أركان الدولة تتصدع واعتلى عرشها ملوك معظمهم امتازوا بالقسوة والأنانية وقد تحللت هذه الفترة محاولة مالي الخروج على ملوك الصنغاي والاستنجاد بالبرتغاليين عام 1534.

7 انهيار المملكة:

شجعت الفوضى التي دبّت في مملكة صنغاي سلطان المغرب منصور السعدي للتدخل في شؤون هذه المملكة وذلك بإرسال حملة لإخضاعها بقيادة ضابط اسمه جودور باشا (إسباني الأصل) تتراوح قواتها بين 3000 و4000 مقاتل معظمهم من غير محاربة استطاعوا الانتصار على صنغاي في معركة تنديني

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

عام 1591 شمال غاو وكانت الصنغاي تحت حكم إسحاق الثاني وتميزت هذه الحملة بوجود الأسلحة النارية لدى الجانب المغربي والرماح والسيوف لدى جانب الصنغاي فسقطت خلال هذه الحملة مدينة تمبكتو.

وفيما بين 1592-1593 دخل جودور باشا مدينة غاو عاصمة صنغاي وعرض على ملك صنغاي أسكيا إسحاق دفع جزية وأموال لكن سلطان المغرب لم يرض بذلك فعزل جودور وعين ابن رقون الذي عبر نهر النيجر والتقى بأسكيا إسحاق في موقعة بامبا وقتل فتولى أسكيا نوح الذي تولى المقاومة والذي ألحق خسائر بالجيش المغربي وانتهت المقاومة بوفاته سنة 1595 وبها انتهت مملكة الصنغاي.

المحاضرة السابعة

I- مملكة كانم- برنو :

1- مملكة كانم قبل دخولها الإسلام:

سكن المنطقة (المملكة) قبل مجيء الإسلام المهاجرون من الشرق وذلك في أعقاب الحروب التي اندلعت في وادي النيل من عهد الهكسوس إلى عهد الفتوحات العربية الإسلامية وقد عرف هؤلاء المهاجرون باسم شعب ساو واختلفت المصادر التاريخية عن أصول هذا الشعب فالبعض يقول أنه فرع من فروع الفولاني والأخر يقول أن الشعب جاء من فزان وتفسر كلمة ساو بالعماليق، وآخرون يرجعون أصوله إلى الهكسوس وهذا على أساس التشابه في الخلقة كما يرجعهم البعض إلى أنهم نيليون من حوض النيل لطول قامتهم.

لم تكن للمملكة وجود الي غاية القرن السابع ميلادي بل كان مجتمع ساو يعيش حياة شبه قبلية وقد أجادوا صنع الفخاريات وأتقنوا التماثيل البرونزية ذات الصلة الوثيقة بالحضارة الوثنية كما اشتهر شعب ساو ببناء المدن المحاطة بالأسوار، ومنذ ذلك العهد بدأت هجرات جديدة على هذه المنطقة كان أولها هجرات قبائل الزغاوة من هضبة دارفور غرب السودان الحالي وكانوا رعاة نشطون يحكمهم ملك

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

منعزل على نفسه يمارس الحرافات والأساطير ويدّعي امتلاك قوة خارقة وقد سيطر هذا الشعب على طرق و القوافل التجارية لدى استقراره في تلك المنطقة واحتك بالتجار والعابرين و كتب عن هذا الشعب اليعقوبي والإدريسي والبكري والذين اعتبروهم نوعا من المثلثين الطوارق وتشير بعض المصادر إلى ظهور طبقة حاكمة في كانم عرفت باسم دوغاو أو بني دوغو وامتد حكمها من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر، ويرى البعض أن الطبقة قد تكونت من شعب الزغاوة التي استأصلت شعب ساو وحلت مكانه.

2- دخول الإسلام إلى المملكة:

مع بداية القرن الحادي عشر دخل الإسلام إلى كانم ومن ثم تحولت الأسرة الحاكمة فيها إلى الإسلام وقد دخل الإسلام على يد شخص ينحدر من أصل أموي يدعى الهادي العثماني ويرتبط ذلك مع ما ذكره البكري أن جماعة قدموا إلى كانم وحسب المقرئزي دخل الإسلام في عهد الملك محمد بن جبل بن عبد الله بن محمد دوناما أو ميمي بن هومة (كان في وثنيته يعرف باسم حمى أو هومبة جيلمه) وكان الملك يتخذ لقب ماي وقد ظل هذا اللقب مستعملا مع الملوك بعد إسلامهم واتخذت الأسرة المالكة لقب السيفية نسبة إلى سيف بن ذي يزن العربي اليمني ويقر البعض الآخر أن أصل السيفية ارتباطها بالقحطانيين العرب وتولى بعد هومبة ابنه دوناما بن هومبة سنة 1097 إلى 1150.

وكان أول ملك يحج من ملوك المملكة وهي ميزة اتبعتها الحكام الزنوج خلال المراحل الأولى لإسلامهم حج دوناما مرتين وفي المرة الثالثة غرق بالقارب في المياه المصرية قرب السويس وكان دوناما بن هومة طموحا دفع حدود بلاده إلى شواطئ النيل الوسطى وكان له الإشراف المطلق على مسالك التجارة إلى الشمال وفي عهده شهدت تأزم الأسرة المالكة فنشبت حرب أهلية أشعلها أبناءه استطاع دوناما

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

التغلب عليهم وخلفه ابنه بري الاول (1150-1176) الذي أودعته أمه السجن تولى بعده بكورا (1176-1193) ثم ابنه السلطان عبد الجليل وقد لقب باسم سلمه لشدة سواده وفي عهده نقلت العاصمة من مدينة منان إلى نجيمي خلفه ولده دوناما ديبالمي حارب الوثنيين من جيرانه لتوثيق الإسلام وأعاد الإسلام الصحيح للبلاد بعد فترة قضى على مون المقدس لدى البولالا التي الفت طبقة حاكمة في منطقة مجاورة لكانم من الناحية الشرقية والتي وقفت في وجه الميول الإسلامي وقد قام بتأسيس مدرسة إسلامية في القاهرة .

3- انهيار الأسرة الحاكمة في كانم وانتقالها إلى برنو:

بعد وفاة دوناما ديبالمي حل الضعف في المملكة لعدة أسباب منها

-انتشار الفقر في أوقات الحروب والثورات التي يقوم بها الوثنيين

-تزايد النزاعات على السلطة بين أبناء دوناما ديبالمي

-غارات البولالا بعد ضعف المملكة بين عامي 1387-1400 وقتلهم خمسة من الملوك مما اضطر

من الملك عمر ابن إدريس إلى نقل قاعدته إلى غربي بحيرة تشاد وأقام في بلاد برنو

الأسرة السيفية في برنو : استقبلت برنو الأسرة السيفية القادمة من كانم ويصادف هذه الفترة انتشار

الإسلام ويعتبر علي غازي بن دوناما 1474-1503 المؤسس الحقيقي للدولة الجديدة في برنو كما

استطاع أن يقضي على الحروب الداخلية كما شيد عاصمة جديدة على نهر يو غرب بحيرة تشاد واستطاع

إن يمد نفوذه إلى دول الهوسا

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

خلف علي غازي ابنه إدريس 1503-1526 فتمكن من قبائل البولالا في كانم وانسحبوا إلى الشرق وقبلوا إن يدفعوا الجزية خلف إدريس حاكم آخر هو إدريس علومه 1570-1602 وقد اعتلى العرش بعد عدة سنوات حيث كانت أمه وصية عليه وفي عهده عرفة الأسرة السيفية قمة المجد وقد عرف عن إدريس علومه انه عادل وحكيم عرف عهده قيمة الأسلحة النارية فاشترى منها من العثمانيين حقق انتصارات على الطوارق قام بنجدة أبناء عمومته من الصنغاي في حروبهم ضد السلطان المغربي وبعد وفاته حكم أبناءه الثلاثة محمد ثم إبراهيم ثم عمر وهذا الأخير كان شبيها بولده حارب سلطان اغاديس وطرده الطوارق إلى الصحراء ودام حكمه 40 عام ليدب الضعف في المملكة نتيجة تفشي المجاعة وهجمات البولالا وفي بداية القرن التاسع عشر ظهر عثمان دان فديو زعيم قبائل الفولاني في إقليم الهوسا إلى الغرب من برنو فاخذ يوسع سلطانه فحرر الأقاليم التي كانت خاضعة لحكم برنو وتدفع الجزية لها وفي عام 1808 هاجم برنو وفر ملكها نحو كانم وبذلك امتد نفوذ عثمان إلى برنو

4- انهيار الأسرة السيفية وظهور محمد الكامي : بعد التطورات الحاصلة في برنو هب شيخ من

أصل عربي يدعى محمد الأمين وقد نسب نفسه لكانم عرف بالكامي كون فرقة للمقاومة أكثر أفرادها من كانم وهاجم قوات عثمان دان فودي واستطاع أن يصده ويعيد السلطة للملك الهارب لكن كان نفوذه أقوى من الملك فخاف أفراد الأسرة منه وحاولو التمرد عليه فاستولى على السلطة مباشرة وحكم البلاد من العاصمة كوكا التي كان قد بناها عام 1814 وأسس أسرة جديدة في برنو توفي الكامي عام 1839 وخلفه ابنه الشيخ عمر 1839-1880 الذي أنهى نفوذ الأسرة السيفية لتحل أسرته مكانها بصفة رسمية وأصبح لقب الشيخ هو لقب المختار من الرؤساء هذه الدولة أتى بعده ابنه أبو بكر 1880-1884 ثم أخوه إبراهيم 1885-1893 ليدب الضعف في عهده وفي نهاية القرن التاسع عشر هاجم زعيم سوداني يدعى رابح الزيري برنو لتسقط في يده ويقضي علي آخر ملوك أسرة كانمي وفي 1900 قتل رابح في معركة ضد الفرنسيين الذين كانوا ينشرون استعمارهم في مطلع القرن العشرين ومن الدول الإفريقية في وسط وغرب القارة التي قامت على أنقاض الإمبراطورية هي

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

- جمهورية تشاد وتشمل اغلب الأجزاء الشرقية من برنو وكانم
- جمهورية إفريقيا الوسطى وتضم الأطراف الجنوبية من برنو
- جمهورية النيجر وتضم اغلب الأجزاء الشمالية والغربية من برنو
- جمهورية نيجيريا تضم كل إقليم برنو
- جمهورية الكامرون تضم بعض الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من برنو

المحاضرة الثامنة

ممالك في الشرق الافريقي :

1/ إمارة شوا

كانت إمارة شوا في أرض الحبشة في القرن الأول الهجري، وهو ما يُشير إلى انتشار الإسلام، وهي أقدم مملكة نشأت ببلاد الحبشة 886 - 1289م، أنشأها المهاجرون من بني مخزوم في مرتفعات الحبشة في موقع أديس الحالية، فتكونت المراكز والمعاهد والجامعات والمساجد ومدارس تحفيظ القرآن وتأسست مدن وحضارات.

وقد عملوا بالتجارة، وأثروا ثراءً عظيماً، وحكمت حوالي أربعة قرون من الزمان واستمرت حتى سقطت بسبب التنافر الداخلي والتنازع الخارجي مع السلطنات المجاورة.

2/ إمارة لامو

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

وقد نشأت ممالك وسلطنات قديمة، أبرزها إمارة لامو التي أنشأها أزد عمان بزعامة سعيد وسليمان بن عباد بن الجلندة 684م، وهي من أقدم الإمارات ظهوراً في المنطقة²⁷.

3/إمارة باتا

ثم كانت إمارة باتا وأسس المسلمون عدة مدن ساحلية، هي مالندي - زنجبار - ممبسا - لامو - كلوة - باتا، وقد أدت الأسرة النبهانية دوراً بارزاً في تاريخ الإسلام في شرق إفريقيا بتأسيس هذه الإمارة.

4/مملكة مقديشو:

ومن الممالك كذلك مملكة مقديشو 908م التي أسسها أفراد من قبيلة بني الحارث، وقد ساد مقديشو

الرخاء، واتسع فيها العمران²⁸.

5/سلطنة كلوة:

كما أنشئت سلطنة كلوة 957 - 1499م، وقد أسسها الشيرازيون بقيادة علي بن الحسن الشيرازي، وعاصمتها كلوة، وكانت مركزاً عظيماً لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية.

وقد بسطت كلوة سيطرتها على مناجم الذهب والحديد في روديسيا، الحالية، وأخضعت لنفوذها جزر بمبا، وزنجبار وامتد نفوذها إلى جزر القمر واعترف بسطانها من قبل سلاطين المدن والسلطنات الممتدة من مقديشو شمالاً إلى سفالة وموزمبيق جنوباً، وهي الأعظم مقاماً ورفعة²⁹، وهي مدينة ساحلية عظيمة العمارة، ومن أشهر مدن الساحل، وعمارتها متقنة، وكلها من الخشب، ويُذكر أنه كان بها ثلاثمائة وستون مسجداً.

3/ممالك الطراز الإسلامي:

²⁷ عوض الكريم إبراهيم نور الدين أبحاث الندوة العالمية عن التعليم الإسلامي، جامعة الملك فيصل - أنجمنينا 1425هـ

²⁸ العمري ممالك الأمصار ج 2 الشبكة العنكبوتية، ونشأة الممالك في شرق إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص03.

²⁹ محمود محمد الحوييري، مرجع سبق ذكره، ص 118 - 122.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

هذا، وقد نشأت بعد ذلك سلطنات عُرفت باسم ممالك الطراز الإسلامي في منطقة القرن الإفريقي وقد عُرفت بـ «بلاد الزيلع»، وهي البلاد المقابلة لبر اليمن على أعالي بحر القلزم والمحيط الهندي، وقد عرفت باسم ممالك الطراز، لأنها على جانبي البحر كالطراز له. ومن دول الطراز التي اشتهرت سبع ممالك وهي مملكة ايفات أو أوفات جبرت، ومملكة هدية مملكة داراو، مملكة بالي، مملكة ارييني مملكة شرخا مملكة دارة.

1/ ايفات 1289م 1402م :

تطلق وفات على عاصمتها جبرت و المناطق التي تحكمها فهي كانت تضم مناطق واسعة ، تبدأ م هضبة شوا إلى سواحل البحر الاحمر و المحيط الهندي ،وهي تقع على بعد عشرين مرحلة غرب مدينة زيلع و لم يتضح تاريخ المدينة إلا مع ظهور أسرة عمر و لشمع ، الذي حكم لفترة طويلة عرف خلالها بالعدل و الصلاح و بعد موته توارث اولاده الخمسة الملك على التوالي خلفه أصغرهم صبر الدين 1301م³⁰.

كانت ايفات جبرت» أكبر وأقوى هذه الممالك (ممالك الطراز)تسيطر على مدخل الحر من الجنوب الغربي و تقابل اليمن و هي اقرب ممالك الطراز إلى مصر ما جعل منها مركزا تجاريا ، ومنازة للعلم، وذات قوة عسكرية وصل تعداد جيشها ازيد من خمس و ثلاثون بين فارس و مشاة³¹، حيث تمكن ضمت معظم الدويلات الصغيرة، و جماعات من التغراي والأمهر وقبائل الحبشة والصومال.و كان ذلك في عهد أشهر ملكوها الإمام أحمد إبراهيم قرآن. و بحكم احتواء المملكة على جزء واسع من الهضبة الصومالية فقد توفرت لديها الأراضي الخصبة لزراعة ، فتنوعت منتوجاتها من موز و ليمون و غيرها من الفواكه حيث مكنا الوضع الاقتصادي المزدهر من زعامة و قيادة دول الزيلع و تحمل أعباء الجهاد ضد ملوك الحبشة ، كما هيا لها موقعها الجغرافي على أن تكون الرابط بين الممالك الإسلامية

³⁰ - فضيلة بجمو، الطراز الاسلامي ، مذكر ماستر افريقيا ، جامعة أدرار ، 2019، ص 11

³¹ - أحمد المقريري ، ص 11-12

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

و بباقي الممالك الإسلامية في مصر اليمن و الحجاز³². و يعود أصل ايفات إلى بني خزيمة و منهم من يقول إلى عقيل بن أبي طالب إلى نسبتهم إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، و على الغالب أنهم من العرب المهاجرين من الجزيرة العربية إلى بلاد الحبشة في فترة الخلاف السياسي في الدولة الإسلامية³³.

اشتهروا بالتمسك بالدين، ومذهبهم الغالب المذهب الشافعي، وعُرفوا بالتقوى والأمانة في العبادة. وقد انتهت الدولة باستشهاد الإمام أحمد بن إبراهيم قرآن في معركة مع الحبشة النصرانية بمعاونة الأوروبيين.

2. مملكة دوارة 1289-1402م :

هي احى ممالك الزيلع ، تقع جنوب أوفات ، و تتشابه ظروف الحياة فيها مع أخواتها من الممالك الاسلامية الأخرى إلا أن مساحتها ضيقة فقد العمري أن طولها يبلغ ميسرة خمسة أيام و عرضها يومين .

³² - فضيلة بجزو، الطراز الاسلامي ، مذكر ماستر افريقيا ، جامعة أدرار ، 2019، ص 11

³³ بدرية يوسف عبد الرحمن مملكة جبرت كبرى ممالك الطرازالإسلامي، ص 04.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

كانت تضم مملكة دوار عدة مدن من بينها نباريه و كحل و برى و زهرك و باب سرى و دل ميده و أجيث و يمر بهذه المملكة العديد من الروافد منها نهر ألوي شيلي الذي كان يسمى نهر بور ، و نهر بوسا و نهر ظميت أما سكان المملكة فهم الصوماليين الجبرت³⁴

3. مملكة أربيبي 1289-1402 م :

هذه المملكة تلي مملكة دوار ، و هي مربعة الشكل ، يبلغ طولها مسيرة أربعة أيام ، لديها جيش يقارب عشرة آلاف فارس ، تتبع المذهب الحنفي ، اما لباسهم و عملتهم نفس مملكة دوار

4. مملكة هدية 1289-1402 م : هي إحدى ممالك الطراز الاسلامي و تقع جنوب إقليم

الداموت و شمال اقليم كمباتا ، و غرب البحيرة التي تسمى بحيرة زوا ، طولها مسيرة ثمانية أيام و عرضها مسيرة عشرة أيام ، و رغم ذلك فإن هذه المملك تعتبر من اقوى الممالك الطرز الاسلامي من تعداد الجيش الذي يصل إلى اربعين ألف ، و كانت الطبقة الحاكمة مسلمة لكن معظم الرعية كانوا وثنيين ، اشتهرت مملكة هدية بتجارة الرق ، لكن سرعان ما تحولوا إلى الاسلام ، و يعود أصول سكانها إلى شبه الجزيرة العربية ، و رغم قوتها العسكرية إلا انها وقعت تحت نفوذ الاحباش خاصة بعد ضعف عدل

5/ مملكة شرخا 1289/1402 م :

و تقع جنوب هدية ، كانت ذات مساحة ضيقة ، و تبلغ حدودها مقدار من حيث طولها مسيرة ثلاث أيام و و عرضها مسيرة أربعة أيام ، و عدد جنودها ثلاث آلاف فارس ، و كانت مملكة شرخا كأخواتها نفس لباس و الزراعة و العادة و المعتقد

³⁴ -فضيلة بجزو ، مالك الطراز الاسلامي ، ماستر افريقيا ، جامعة ادرار ، 2019 ، ص 12

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

6/ مملكة بالي 1289-1402 م :

و حملت هذا الاسم نسبة إلى قبيلة بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة من الحجاز و تحالفت مع جهينة ، في اسقاط ملك النوبة ، ثم هاجرت إلى اريتيريا من موطنها الحجاز ثم انتشروا في شرق السودان وبلاد البجة و الصحراء الشرقية و بلاد النوبة.

و تقع مملكة بالي جنوب مملكة دوارة يحدها نهر وى شبيلى شمالا و نهر جوبا ورافده جنوبا ، ماجعل المنطقة تسخر بخصوبة تربتها و برودتها و كثرة خيراتها ، و هذا ما انعكس على ازدهار اقتصادها ، ما بنسبة إلى مذهبها فهي تتبع المذهب الحنفي مثل باقي كل الممالك بلاد زيلع ، أما مساحتها تتمثل في طولها الذي يبلغ مسيرة عشرين يوما و عرضا ستة أيام³⁵ .

و لعل شساعة مساحتها و تنوع مواردها جعله تعمل على تكوين جيش وصل تعداده إلى ثمانية عشر ألف فارس هذا فضلا عن المشاة .

7/ مملكة دارة 1289-1402 م :

و هي تقع جنوب مملكة بالي ، وهي تعد أصغر الممالك من حيث المساحة التي يقدر طولها مسيرة ثلاث أيام أما عرضها نفس المسيرة ، و تعداد جيشها الذي بلغ ألفي فارس و ألفي مشاة، و الملاحظ أن حياة سكانها و ثقافتهم نفس باقي الممالك الإسلامية³⁶ .

المخاضرة التاسعة

مملكة دارفور

شهد القرن السابع عشر الميلادي، قيام سلطنة إسلامية في إقليم دارفور. ولم تلبث هذه السلطنة التي عرفت باسم هذا الإقليم أن احتلت مكاناً بارزاً بين مجموعة الممالك السودانية الإسلامية

³⁵ - نفسه ، ص14

³⁶ - فضيلة بمر ، المرجع نفسه ، ص15

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

الواقعة على طول نطاق السافانا، بين الصحراء الكبرى ومصر في الشمال، وبين الغابات الاستوائية في الجنوب. وتمتد من البحر الأحمر شرقاً، إلى المحيط الأطلسي غرباً، وتشمل ممالك سنار وكردفان، و دارفور و وادي و بجرمي و الكانم -أوبرنو- وممالك الهوسا، ثم مملكة مالي...

1/ جغرافية الدارفور:

تقع الدارفور في الجزء الغربي من جمهورية السودان حالياً ويمكن أن نعين حدودها على وجه التقريب، فهي حالياً شمالاً بخط عرض 15 درجة، وجنوباً بخط عرض 10 درجة، وغرباً بخط طول 22 درجة، وشرقاً بخط طول 37 شرقي غرينتش³⁷

أن حدودها جعلها على اتصال بدول أحاطت بها من اتجاه فمن الشمال نجد مملكة الزغاوة وما وراءها من الدول العربية ومن الشرق نجد مملكة مقرة ومملكة علوة المسيحيين، ثم مملكة الفونج ومملكة كنوز الإسلاميتين اللتين قامتتا على أنقاضهما في أواخر العصور الوسطى، ومن الغرب نجد مملكة وادي ومملكة كانم برنو ومن الجنوب بحر الغزال وما وراءه من بلاد الكونغو وأواسط إفريقيا³⁸ لم يذكر حسن الوزان الذي زار عدداً من الممالك في بلاد السودان الغربي والوسط بين عامي 1508-1520 عن هذه السلطنة ولم يفعل لأنه كتب عن البلاد التي زارها وقال في ذلك: "الن تعرض الا للبلاد التي ذهبت اليها وترددت عليها كثيراً او التي كان التجار ياتون منها الى البلدان التي زرتها، فيبيعون بضائعهم ويزودوني بمعلومات عنها، ولا اکتتم اني زرت خمس عشر مملكة من ارض السودان، وفاتني ثلاثة اضعافها لم ازرها، وكل منها معروفة ومجاور للممالك التي كنت فيها"³⁹

أما عن تاريخ هذه البلاد، فليس لدينا عنه شيء مكتوب، ومن ثم فإن المعلومات القليلة التي وصلت إلينا خاصة بتاريخها تعتمد أساساً على الروايات الشفوية التي حفظها أهل البلاد جيلاً بعد جيل. وهي روايات يكتنفها التناقض أحياناً، والغموض أحياناً أخرى، ولذا تعين على الباحث في تاريخ دارفور الرجوع إلى ما سجله عن تاريخها ومظاهرها حضارتها، الرحالة الذين زاروا هذه البلاد في

³⁷ رجب محمد عبد الحليم، العروبة والاسلام في دارفور في العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع الفجالة، ص16

- ³⁸ نفسه، ص18

³⁹ الحسن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1983م، ص33.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد⁴⁰، خاصة ماكتبه محمد بن عمر التونسي الذي وصل اليها من اسيوط عن طريق درب الاربعين في عام 1803م وقد استقر فيها سبع سنوات⁴¹

2/ السكان في المملكة :

ومما لا شك فيه أن الفور هم أصحاب البلاد الأصليون ويستقرون بالمنطقة الجبلية الوسطي وبها جبل مرة. ومنذ حوالي القرن السابع الميلادي وفد على هذا الإقليم قبائل من الشمال عن طريق النيل من ناحية، وعن طريق الصحراء من ناحية أخرى⁴²، فمن ناحية النيل جاءت جماعات نوبية من الميذوب والبرقد، على حين جاءت جماعات ليبية من الباديات والزغاوة من شمال إفريقيا. واستطاعت هذه القبائل النوبية والليبية بفضل ما امتازت به من الغلبة العقلية وما لديها من وسائل حربية جديدة، أن تطرد جماعات السود إلى الجبال، وأن تقيم في هذه المنطقة ممالك خاصة. وأدت هذه الهجرات الشمالية كذلك إلى ازدياد تجارة الرقيق، كما يشير إلى ذلك الإدريسي⁴³. وقد أتت هذه الهجرات إلى هذا الإقليم لأسباب وعوامل متعددة، ومن بلدان عديدة، وعبر مسالك وطرق مختلفة فمن العوامل نذكر:

العوامل السياسية: تعددت العوامل السياسية التي أدت بالهجرة العربية إلى دارفور نذكر منها

- سوء العلاقة بين العرب مصر وحكامها وتقليص صلاحياتهم في مختلف المجالات ، حيث تعود سوء العلاقة إلى ما أمر به الخليفة العباسي المعتصم بالله بإسقاط أسماء العرب من الديوان وقطع العطاء والرواتب ،ضف إلى ذلك تعدد الطوائف في الجند ، في عهد صلاح الدين الأيوبي والمعز لدين الله الفاطمي وغيرهم ،ولم يقتصر الأمر بالجند حتى أصبح ملوكها من غير العرب⁴⁴ .

40 : مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها و بعض مظاهر حضارتها، دار المصورات للنشر و الطباعة و التوزيع، الخرطوم، 2016، ص. 10.

رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والاسلام في دارفور في العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع الفجالة، ص24⁴¹

42 : مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها و بعض مظاهر حضارتها، دار المصورات للنشر و الطباعة و التوزيع، الخرطوم، 2016، ص. 07.

43 : مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها و بعض مظاهر حضارتها، دار المصورات للنشر و الطباعة و التوزيع، الخرطوم، 2016، ص. 08.

44- رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والاسلام في دارفور في العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع الفجالة، ص50-51

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

- عداء المماليك لعربان مصر ومطاردتهم في جنوب مصر وحتى أنهم تبعوهم إلى بلاد الزنج وذلك بإرسال حملات للمنطقة ضف إلى ذلك ضغط الأتراك على عرب مصر مما أجبرو على النزوح و الهجرة الى هذه البلاد⁴⁵

- النزاع ما بين القبائل العربية في مصر وتدخل المماليك في هذا النزاع وذلك في ايطار التنافس حول الرعامة ، ما كان يدفع بالفريق الخاسر الى الهجرة والنزوح الى المنطقة⁴⁶

- سقوط بغداد في يد المغول عام 1258م فقد تسبب هذا السقوط في هجرة الكثير من العرب الى السودان.

الاسباب الطبيعية : كانت طبيعة هذا الاقليم تناسب العرب أكثر مما تناسبهم طبيعة بلاد النوبة ، ففي صحاري بلاد السودان توجد نفس الاشجار ونفس الحشائش ونفس المحاصيل الصحراوية ، لذلك شد العرب الرحيل الى هذه المنطقة والتي تقع بالدارفور في جزئها الغربي ذات المراعي الواسعة⁴⁷.

اما السبب الثاني الذي جعل دارفور أكثر ملائمة للعرب من بقية اجراء بلاد السودان فقد جمعت خصائص السودان الجغرافية والطبيعية والمناخية للسودان عامة ، ففي المناطق الشمالية لدارفور وجدت المراعي العظيمة التي يجبها البدو العرب ، وفي المناطق الجنوبية سكنت معظم قبائل العرب المعروفين باسم البقارة⁴⁸

أما الهجرات العربية الرئيسية إلى هذا الإقليم، فقد جاءت من مصر وشمال إفريقيا عبر السهوب والبراري الواقعة بين النوبة وإقليم تشاد، وذلك بعد أن قامت في مصر وشمال إفريقيا دول إسلامية مستقلة كالتولونيين والإخشيديين والأدارسة والفاطميين والمماليك وبنو مرين، وبنو حفص والمعروف أن القبائل العربية التي هاجرت إلى إقليم كردفان ودارفور كانت تحترف رعي الإبل، ولما انتقلت

⁴⁵ نفسه، ص59.

- الاعراب ، عالم ⁴⁶ عبد المجيد عابدين، دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل ، بحث ضمن كتاب البيان والاعراب عما بارض مصر من الكتب، القاهرة، ط1، 1961م، ص150

⁴⁷ -رجب محمد عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص68.

⁴⁸ - نفسه، ص69.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

جماعات منها إلى الجنوب، لم تلبث أن استبدلت البقر بالإبل، ومن ثم عرف هؤلاء بالبقارة، على حين ظل أبناء عموماتهم في الشمال يراعون الإبل⁴⁹.

وعلى هذا يمكن تقسيم سكان دارفور الحاليين إلى مجموعتين إحداهما وهي المعروفة بالمجموعة غير العربية والأخرى هي المجموعة العربية. أما المجموعة الأولى فإنها تضم فضلاً عن الفور أهل البلاد الأصليين الذين يسكنون المنطقة الجبلية الوسطى المساليط والإرنجا والقمر في الغرب، والزغاوة والقرعان والبدايات في الشمال والميدوب في الشمال الشرقي والبرتي والبرقد في الشرق، والداجو والبيقو في الجنوب الشرقي، والفلاتا في الجنوب ولاتنجور في الوسط.

أما المجموعة العربية فإنها احتلت السهول وتضم الهبانية والرزيقات والمسيرية والتعايشة وبني هلبة والمعاليا في الجنوب والحرر في الشرق والزبادية في الشمال والماهرية والمحاميد وبني حسين في الغرب⁵⁰.

3/أصولهم :

تذكر روايات أهل البلاد أن الداجو سلالة سودانية قديمة أول من أسس دولة في إقليم دارفور، غير أنهم مدينون في قيام دولتهم هذه إلى مهاجرين أرقى منهم حضارة وأنشأ أولئك المهاجرون طبقة حاكمة خضع لها الداجو و حسب بعض الدراسات ترى أن هذه الطبقة قادمة من الشرق، أي من وادي النيل، ثم خلف الداجو في حكم دارفور أسرة التنجور، التي اختلفت الآراء حول أصلهم أسرة كيرا من الفور، فقبل إنهم من عرب بني هلال من شمال إفريقيا، ورأي آخر يقول إنهم من بقايا العباسيين الذين هاجروا إلى السودان بعد زوال دولتهم و منهم من يرى ومن النوبة⁵¹.

تأسيس:

⁴⁹ مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها و بعض مظاهر حضارتها، دار المصورات للنشر و الطباعة و التوزيع، الخرطوم، 2016، ص. 08.

⁵⁰ : مصطفى محمد مسعد، نفسه، ص. 09.

⁵¹ : مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها و بعض مظاهر حضارتها، دار المصورات للنشر و الطباعة و التوزيع، الخرطوم، 2016، ص.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

تأسست هذه السلطنة من قبل أسرة كيرا هذه في ترة على مقربة من جبل مرة بأواسط دارفور، اختلفت الروايات في نسب مؤسس سلطنة دارفور، حيث يذكر التونسي أن الفور سكان جبل مرة الأصليين ينقسمون إلى ثلاث شعب هي: الكنجارة والتموركة والكراريت. لكن الكنجارة وصاهروا جماعة من عرب بني هلال بقيادة أحمد المعقود من نسل أبي زيد الهلالي التي هاجرت إلى بلاد دارفور قبل القرن 17م الميلادي ، ومن خلال هذه المصاهرة نشأت أسرة كيرا استطاعت بقيادة زعيمها سليمان سولونج أن تؤسس سلطنة دارفور. و رواية تقول إن سليمان سولونج عربي من هلال وتزوج أميرة من الفور. ورواية ثالثة تقول إنه ابن أحمد المعقود من بني هلال أو من سلالته. لكن المتفق بين الآراء انه يعود الفضل في تأسيس مملكة دارفو اسرة كيرا العربي الكنجاري.

4/نبذة تاريخية على مملكة دارفور:

والراجح أن أول سلاطين هذه الأسرة، السلطان دالي ثم خلفه ابنه كورو ثم سليمان سولونج. وظلت هذه الأسرة تحكم دارفور حتى نهاية حكم علي دينار عام 1916م⁵².

● السلطان سليمان سولونج (1610-1670م):

لقب بسولونج معناه في لغة الفور العربي أو من يتكلم العربية⁵³. حيث كان مقيما في اقليم ترة التي بها بلدة نامى عاصمة سلطنته، دخل في صراع على السلطة مع أخيه توتسام، فحاربه سليمان سولونج وتمكن من هزمه وطرده من دارفور. فلجأ أخيه توتسام إلى كردفان وهناك أسس سلطنة المسبعات⁵⁴.

و بعد الطرد أخيه ، بدأ بإخضاع الأقاليم المجاور له. واستطاع سليمان بعد ان خاض ثلاثاً وثلاثين معركة من فرض الاستقرار و وحدة البلاد، وذلك بإخضاع كل من قبيلة البرقد والزغاوة

⁵² : مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها و بعض مظاهر حضارتها، دار المصورات للنشر و الطباعة و التوزيع، الخرطوم، 2016، ص. 19.

⁵³ : مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها و بعض مظاهر حضارتها، دار المصورات للنشر و الطباعة و التوزيع، الخرطوم، 2016، ص. 19.

⁵⁴ - سلطنة المسبعات. ويقال إن المسبعات في لغة الفور معناها الناس الذين ذهبوا إلى الشرق

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

والبرقي والبيقو وبعض المساليط، كما قضى على محاولة قام بها التنجور لاسترداد ملكهم المسلوب. ثم تفرغ سليمان لبناء سلطنته على أسس سلمية باستئناف حركة نشر الإسلام⁵⁵.

● السلطان موسي (1670-1682م):

لم تذكر عنه روايات الفور شيئاً يستحق الاهتمام. ويبدو أن هذا السلطان كان ميالاً إلى السلم، على عكس أبيه سليمان غير أنه اضطر مع هذا إلى أن يحارب جماعات القمر والمسبغات.

● السلطان أحمد بكر (1682-1722م):

حكم هذا السلطان بلاد دارفور لمدة أربعين عاماً. حيث كان حازماً وقوياً و هذا يبرز من خلال حروبه، أولها حرب دامت سبع سنوات لإخضاع جماعات القمر واستعان أحمد بكر بأمرأء المماليك في مصر لإمداده بالأسلحة لدفع إغارات أهل وإداى بقيادة ملكهم عاروسي على حدود دولته فأحرز عليهم نصراً عند كبكايية. و يرجع الفضل في تعميم الإسلام في بلاد دارفور. اعتني ببناء المساجد والمدارس، واستقدم عدداً من المشايخ.

● محمد دورا (1722-1732م):

ورث هذا السلطان عن أبيه أحمد بكر شجاعته وحزمه، لكنه أضاف إلى هاتين الصفتين صفة القسوة والوحشية بدليل قتله كثيراً من أخوته وشنه الحرب على ابنه موسي عنجريب وتوفي محمد دورا هذا بعد مرض طويل بداء البرص.

● عمر ليل (1732-1739م):

خلف أباه السلطان محمد دورا على عرش دارفور. الذي تميزت فترة حكمه بالعدل حسب القرآن و السنة ، فضلاً عن أطماعه الحربية التوسعية في إقليم واداي والتي أدت إلى ضجر أهل دارفور من حكمه ومات السلطان عمر أسيراً في واداي.

● أبو القاسم (1739-1752م):

⁵⁵ : مصطفى محمد مسعد، نفسه، ص. 20-21

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

هو ابن السلطان أحمد بكر خلف ابن أخيه عمر ليل في حكم دارفور، وبدأ عهده بمحابة طبقة العبيد الذين تولوا الوظائف الإدارية ما جعل حكمه منبوذاً من قبل الناس. و أراد خلف الثأر من مقتل سلفه عمر ليل من أهل واداي ، لكن مقتله في المعركة جعل أخيه محمد تيراب يتولى عرش السلطنة⁵⁶.

● محمد تيراب (1752-1757م):

بعد توليه الحكم عين خاله حاكماً على إحدى فروع قبيلة الزغاوة . فأثار غضب بعض رؤساء القبائل في دولته لميله إلى جماعات الزغاوة. ثم خرج السلطان تيراب لإخماد ثورة قامت بها جماعات البرقد ضده في الريل جنوب شرقي دارفور، ثم قام بغزو⁵⁷ الرزيقات والمسبعات. و سببها، أن سليمان سولونج الجد الأول لسلاطين دارفور كان له أخ اسمه المسبع. واتفق الأخوان على تقسيم إقليمي دارفور وكردفان فيما بينهما. فكانت دارفور من نصيب سليمان، وكردفان من نصيب المسبع. وظل الأمر على هذه الحال في أعقابهما من بعدهما. ولما تولى السلطان تيراب عرش دارفور كان يلي كردفان تحت حكم السلطان هاشم المسبعواوي. شن هذا الأخير غارات على أطراف سلطنة دارفور. فبعث السلطان تيراب إلى قريبه السلطان هاشم رسالة يذكره فيه بعهد جده و مسألته له في حين يهدده بالحرب . غير أن السلطان هاشم لم يستجب لهذه الرسالة. ما جعل السلطان تيراب يخرج بجيشه قاصداً كردفان. ولما وصل النبأ إلى السلطان هاشم فر بحاشيته وأسرته إلى ملك سنار. وأخذ السلطان تيراب يطارده حتى التقى الجيشان إلى قرب موضع أم درمان الحالية. و انتهت المعركة بهزيمة هاشم و حليفه ملك الفونج بسنار. و ظل السلطان تيراب حتى يعود برأس هاشم. مدة لكنه مرض مرضاً شديداً فرجع به إلى دارفور، وتوفي في بارة⁵⁸.

⁵⁶ : مصطفى محمد مسعد، نفسه، ص. 23.

⁵⁷ : مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها و بعض مظاهر حضارتها، دار المصورات للنشر و الطباعة و التوزيع، الخرطوم، 2016، ص. 23.

⁵⁸ : مصطفى محمد مسعد، نفسه، ص 24-26.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

وعلى الرغم من أن السلطان تيراب كان رجلاً متنوراً ومثقفاً، وأنه كان دائم السعي إلى استيراد الكتب من مصر وتونس، إلا أنه أخذ عليه الميل إلى النساء والخمور، وعدم المبالاة بكرامة قومه و استهتار أولاده بشعور الناس، حتى ضاقت نفوس أهل دارفور منهم. ما جعلهم يترددون في إقامة ابنه إسحاق في السلطنة من بعد وفاة السلطان تيراب، و تم مساعدة الابن الأصغر له عبد يدعى عبد الرحمن الرشيد من قبل محمد كرا كان احد المقربين للسلطان. في محاربة أخيه إسحاق وبعد هزيمته في غربي كباكبية. بذا صفا الجو للسلطان الجديد.

• عبد الرحمن الرشيد (1787-1802م):

شجع هذا السلطان التجار على دخول دارفور، فازدهرت التجارة في عهده، ونشأت عدة مدن تجارية، كما شجع الفقهاء وأغدق عليهم. ومن بينهم عمر التونسي أبو الرحالة المشهور محمد بن عمر التونسي، و شن حرب ضد السلطان هاشم في كردفان العدو لسلطنة دارفور، و بالفعل كاد السلطان هاشم الذي من القضاء على سلطنة دارفور نظراً للانتصارات التي حققها، لولا مهارة محمد كرا أخ الأوسط لسلطان عبد الرحمن الرشيد الذي جعله السلطان نائباً عنه في حكم كردفان بعد انتصاره على السلطان هاشم.

ويبدو أن السلطان عبد الرحمن الرشيد كان شديد الحرص التجارة القائمة بين مصر ودارفور. غير أن بعض أمراء المماليك في مصر دأبوا على التعرض لهذه القوافل وتعطيل سيرها. ولذا فإن عبد الرحمن الرشيد بادر بتهنئة نابليون عقب وصول الحملة الفرنسية إلى مصر وانتصاره على أمراء المماليك. فرد عليه نابليون بكتاب يطمئنه فيه على استمرار طير القوافل ويطلب منه إرسال ألفي عبد من العبيد الأشداء⁵⁹.

توفي السلطان عبد الرحمن الرشيد سنة 1802م تاركا ابناً صغيراً لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، وإسمه محمد فضل. الذي خلفه في الحكم بفضل شيخ محمد كرا الذي كان وصياً عنه، وظل

⁵⁹ : نفسه، ص. 28.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

الحال كما عليه حتى بلغ السلطان محمد فضل و بدأ يفكر في التخلص من وصايته عليه. و بالفعل تمكن من ذلك.

● السلطان محمد فضل (1802-1839م):

قام بتحرير قبيلة البيقو، التي كانت أمه منها، و حرم أخذ الرقيق وبيعه من هذه القبيلة. انغمس في اللهو والتطرف في معاداة الناس خاصة القبائل العربية حتى كاد أن يقضي على بني هلبة وعلى العريقات والرزيقات كذلك. وفي عهده استؤنفت الحرب بين دارفور ووادي وانتهت هذه الحرب بصلح اشترك محمد بن عمر التونسي في المفاوضات التي أدت إلى عقده.

أما إقليم كردفان، فقد أراد إسماعيل بن محمد علي سنة 1820-1821م غزوها مثل بقية أقاليم السودان الأخرى. لذا كلف صهره محمد بك الدفتردار بغزوها، ولما علم المقدم مسلم والي كردفان من قبل السلطان محمد فضل بهذه الحملة عقد العزم على مقاومتها والتقي الفريقان بالقرب من باره حيث نشبت معركة التي أسفرت على هزيمة المقدم مسلم⁶⁰.

● السلطان محمد حسين (1839-1874م):

ولما توفي السلطان محمد فضل فخلفه ابنه محمد حسين الذي حرص على المحافظة على استقلال بلاده. حيث أنشأ جيشاً قوياً مسلحاً بالأسلحة النارية. كما كانت تربطه علاقات طيبة مع الخديو سعيد ثم إسماعيل في مصر.

● السلطان إبراهيم (1874-1875م):

خلف السلطان إبراهيم آخر سلاطين دارفور والده، حيث دخل في حرب مع الزبير رحمت العباس. الذي عينه الخديو إسماعيل حاكماً على إقليم بحر الغزال. ولكي يبرهن الزبير على ولائه للخديو اعتزم السفر من بحر الغزال إلى الخرطوم، لكن عرب الرزيقات أغاروا على حدود مديريته وقطعوا الطريق بين بحر الغزال وبين دارفور. فرأى الزبير أن يقوم أولاً بتأديب أولئك العربان ثم يواصل

⁶⁰ : مصطفى محمد مسعد، نفسه، ص31-32.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

سيره إلى الخرطوم عن طريق كردفان، وأعد الزبير لهذا الغرض حملة تقدم بها شمالاً إلى مواطن الرزيقات.⁶¹

ونشبت بين الفريقين معركة انتهت بانتصار الزبير و فرار مشايخ الرزيقات إلى السلطان إبراهيم قصد حمايتهم ، وحاول الزبير إقناع السلطان إبراهيم بعدم الاهتمام بأمرهم للحفاظ على حسن العلاقات والمودة التي ربطت بين والده وبين الحكومة المصرية، ولكن السلطان لم يوافق على تسليمهما الشخين. فأعلننا الحرب التي انتهت بانتصار الزبير و مقتل السلطان سنة 1875م. و من هنا ظلت دارفور تحت الإدارة المصرية في السودان من سنة 1875 و هي السنة التي دخل فيها الزبير دارفور حتى سنة 1883 و هي السنة التي امتد فيها نفوذ المهديّة إلى دارفور.

5/نظام الحكم في سلطنة دارفور

باعتباره حكماً ملكياً مطلقاً. يكون فيه السلطان هو الرئيس الأعلى للمملكة و الحكم المطلق. ويصل السلطان إلى العرش عن طريق الوراثة ويتم اختياره من بيت أفراد البيت المالكة في دارفور بواسطة مجلس خاص يوم وفاة السلطان الراحل. ويظل السلطان الجديد مدة سبعة أيام لا يباشر فيها أي عمل رسمي، حتى إذا جاء اليوم الثامن أقيم لتنصيبه حفل ضخم يحضره الخاصة والعامة من أهل دارفور وإذا جلس السلطان في ديوانه للحكم وقف خلفه الحرس الخاص المسمون كوركوا ، وجلس القضاء والفقهاء عن يمينه ويساره، ووقف أمامه اثنان من الأمناء (الوزراء) ثم سبعة من المترجمين ليكونوا واسطة بين السلطان وأصحاب الدعاوي.⁶²

و يكتلف باسى أفراد بشؤون الأسرة المالكة من الذكور بالأمراء، عليهم، ويساعد السلطان في تصريف الأمور في الحكومة المركزية مجلس الأمناء، أي الوزراء، وعددهم أربعة: رئيسهم الأب شيخ وهو الوزير الأعظم، أي رئيس الوزراء. ويتكون من هؤلاء وقاضي القضاة مجلس السلطان أو فاشره.

⁶¹ : نفسه، ص. 34.

⁶² : مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها و بعض مظاهر حضارتها، دار المصورات للنشر و الطباعة و التوزيع، الخرطوم، 2016، ص. 37.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

ويبدو أنه كان لكل من أولئك الأمناء الأربعة عمل خاص في الحكومة المركزية. فأمين على شئون العسكر (كوركوا) وأمين على خزائن وأموال الدولة وأمين على شئون الخيل والدواب السلطانية، وأمين على الأسلحة. ويقوم مجلس الأمناء فضلاً عن مساعدة السلطان في تصريف شئون الدولة باختيار السلطان الجديد عقب وفاة السلطان بعد استشارة وجوه القوم حسبما يقتضي الرسم في وراثة عرش السلطنة، والأمين مجلس وحرس وأمناء على مصالحه الخاصة مثل السلطان، ما عدا شارات الملك. ولكل منهم اقطاع خاص وحرس خاص كذلك:

أما منصب الأب الشيخ، فهو منصب الوزير الأعظم أي رئيس الوزراء والقائد العام للجيش السلطاني، فضلاً عن أنه كان يتولى حكم الولاية الشرقية من مقره في عاصمة السلطنة.⁶³ ومن مناصب الإدارة المركزية منصب الكامنة، ويطلق عليه الفور إسم أبا فوري». ويبدو أن صاحب هذا المنصب من سلالة ملوك الفور القدماء. وكذلك منصب «أرونولونج» الحاجب في القصر السلطاني، وهو الحاكم العام للعاصمة والمسئول عن حفظ الأمن فيها. ومن المناصب الهامة منصب السوميندقلة، مسئول عن شئون الحرم السلطاني وتربية أبناء السلطان

و للسلطان حرس خاص من حاملي الحراب يعرفون بالكوركوا. ومن هذا الحرس توجد فرقة للموسيقي، وفرقة المغنين وحاملي القيثارات والطبول ومن إليهم. واختص ملك الموجيه بإدخال السرور على قلب السلطان وتسليته، ويشرف على خيل السلطان جماعة الكوريات. وثم منصب هام هو منصب وريبايه، ويختص بالأشراف على جميع الخصيان الموكل إليهم خدمة حريم السلطان.

وهناك منصب ملك العبيدية، وهو الحاكم على جميع عبيد السلطان خارج القصر السلطاني وفي الأقاليم والمسئول عن مواشي السلطان وآلات السفر من خيم وقرب وغيرها.

⁶³ : مصطفى محمد مسعد، نفسه 2016، ص. 40.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

ويلي ملك العبيدية ملك القوارين أي المكاسين، ويتبع صاحب هذا المنصب عدد من جباة الضرائب على التجارة الصادرة والواردة .

أما عن حكم الأقاليم كانت تنقسم إلى أربع ولايات عرفت الواحدة منها باسم دارفور ويلى الحكم فيها وال من قبل السلطان كان بمثابة ملك وهم «أباديما» على ولاية جنوب غرب دارفور، والتكتياوى على الولاية الشمالية، و «أبا ومنج» على ولاية جنوب شرق دارفور، وتنقسم كل ولاية إلى إثنتا عشرة شرتايه على رأس كل منها حاكم يعرف بالشرتاي، والجمع شراتي، وتنقسم الشرتايات إلى عدد من الدمليجات على رأس كل منها حاكم يعرف بالدملج، وهو شيخ القبيلة

6/الاقتصاد:

و بحكم طبيعة النظام الملكي في سلطنة دارفور، فإن الأرض ومن عليها ملك للسلطان يقطعها لمن يشاء من رعاياه. وقد قسم سلاطين دارفور الأراضي الزراعية إلى حواكير (إقطاع) وهم من أفراد البيت المالك وخاصتهم و الفقهاء وكبار رجال الدولة . فعاش هؤلاء والقائمون على زراعتها ما تنتجه هذه الحواكير من محاصيل. كما قسم السلاطين قبائل البادية على الأمراء.

و كان الحكام يسخرون رعاياهم لزراعة الدخن والذرة والسمسم والبقول والقطن، ثم ليتم بيع محاصيلها لشراء ما يلزم جيوشهم من خيل وأسلحة. ول هؤلاء الحكام مصادر أخرى للدخل منها: الهامل أي الضال من رقيق وبقر وغنم وحمير وعسل وسمن وسن ريش، اما الإيرادات متمثلة في الحبوب والأسلحة و الألبسة كى⁶⁴.

⁶⁴ : مصطفى نفسه، ص 45-47

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس) المحاضرة الحادية عشر

1- الحياة الثقافية في غرب إفريقيا بعد انتشار الإسلام

- اللغة العربية في غرب إفريقيا:

ظلّ الإسلام فيئاً تستظل به اللغة العربية حيثما حلّ وأينما ارتحل في ربوع غرب أفريقيا، وهي منطقة تُعتبر العربية فيها دخيلة على مجتمعه، حيث واكبت حركة الاستعراب مراحل انتشار الدين الإسلامي، فكلما تمكّن الإسلام ذاعت لغته، حيث إذ لم تكن رمال الصحراء عائقة لازدهارها ونشر ثقافتها عبر القرون والأجيال، وكانت هذه الحركة تلقى التأييد والدعم من مسلمي غرب إفريقيا. و تجلّى هذا التأثير في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية وأنظمتها السياسية؛ وكان للاحتكاك مع التجار والعلماء العرب دوراً وفضل كبير في انتشار العربية كما كان لها الفضل في انتشار الإسلام، ولم يمر وقت طويل حتى أصبحت اللغة العربية لغة الثقافة والإدارة والتجارة والمراسلات، ووسيلة للاتصال، ودامت هيمنتها واحتواؤها للحياة العامة إلى أن تمت السيطرة للقوى المعادية للإسلام ابتداءً من النصف الأخير من القرن التاسع عشر.

نشطت حركة التجديد ونشر الدين الإسلامي في القارة الإفريقية جنوب الصحراء بمقاومة حركات التبشير، وأيضاً مكافحة المد الأوربي في القارة إلى جانب دورها في نشر اللغة العربية والتعليم الإسلامي و المحافظة عليهما بين الشعوب الوثنية في غرب ووسط القارة الإفريقية.

وذلك بالتركيز على التعليم الديني العام للقضاء على الجهل وإلى نشر قواعد الدين الصحيح ثم تعليم اللغة العربية قراءة وكتابة.⁶⁵ فأصبحت بذلك اللغة العربية لغة عبادة وعلم لقيامها بعدة وظائف في آنٍ واحد: فهي صالحة لمجالات الحياة المعاصرة من إدارة وتربية وتعليم وسياسة واقتصاد وفنون شأن اللغات الأوروبية الحديثة، وتساعد هذه اللغة صاحبها بتعلم بعض العبارات العربية، كالتحية،

⁶⁵- عباس محمد جلال: التعليم الإسلامي في إفريقيا - مجلة الأزهر - الجزء السابع السنة السابعة والثلاثون.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

والأدعية، وصيغة الشهادة، والكلمات التي تصاحب شعائر الصلاة وغيرها، ويحفظ بعض الآيات من الذكر الحكيم، هذا عدا ضرورة معرفة اللغة العربية لأي دارس جاد للإسلام.

● نشاط المساجد و الكتابات القادرية في التعليم العربي:

- نشاط المساجد:

كانت المساجد محل وملتقى طلاب العلم بالعلماء والفقهاء كما هو الحال بالنسبة لمسجد تمبكتو الجديد وهو المسجد الجامع ويعرف أيضا بالمسجد الكبير، كما يوجد جامع قديم بالحى الشمالي يعرف باسم جامع سنكرى نسبة إلى سيدة قد بنته بدون مئذنة فأكمل مئذنته الأسكيا منسا موسى⁶⁶.

وكان للمساجد ومازال حرمة خاصة لدى أهل تمبكتو حيث كانوا يلجئون إليها أثناء الأزمات وكانوا أيضا يستجرون ويعتصمون بها، كما ازدهرت الحركة العلمية واشتهرت المدينة بكثرة علمائها وفقهائها وأئمتها واحتفظت بمكانتها العلمية والثقافية - حتى في أوقات ضعفها السياسي - كمراكز كبرى للثقافة وعاش العلماء في رغد من العيش.

وإلى جانب العلوم المرتبطة بدراسة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية -ازدهرت أيضا العلوم التي شملت جميع أمور الحياة فدرست مناهج النحو والعلوم الفلسفية والرياضيات والمنطق وعلم النفس والهندسة والفلك والأدب والطب والتاريخ والرحلات وفن الكتابة (الخط) والتراجم.

فازدهرت بذلك الثقافة الإسلامية وأصبحت في بلاد غرب إفريقيا عموما مراكز إشعاع ثقافي إسلامي كبيرة مثل تمبكتو وجاو وجنى وصنعى وحمد الله عاصمة دولة ماسينا حيث استقدم الشيخ أحمدو لوبو العلماء من شتى الأنحاء إلى جانب أن العلماء قد أتوا إلى ماسينا طلبا للعلم والثروة.

⁶⁶ - إبراهيم علي طرخان، مملكة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973، ص 148، 149.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

وقد ازدهمت مدن غرب إفريقيا بالعلماء والفقهاء والأئمة الذين كانوا ينالون معاملة كلها احترام وتقدير وتعظيم وازدهرت الحركة العلمية وأقبل الناس على اقتناء الكتب رغم ارتفاع تكاليفها والتي كانت تبحث كافة فروع العلوم الإسلامية⁶⁷

● نشاط الكتاتيب:

لم يقل دور الكتاتيب عن دور المساجد في دفع عجلة التطور الثقافي في مناطق إفريقيا، بل كان لها دور مميز أرادته لها شيوخ القادرية سواء قبل الاحتلال الأوروبي أو بعده فقام شيوخ الطريق القادرية ببناء مدارس كثيرة وإقامة المحاضر في جميع المدن المشهورة بجوار المساجد التي كان لها دور كبير في نشر الثقافة العربية في المنطقة، حيث كان المسجد يخصص أوقاتا لتدريس القرآن كما يخصص أوقاتا لتعليم اللغة العربية فكان يجب على كل فرد دخل الإسلام أن يتعلم ولو قسطا من العربية، إضافة إلى الاعتماد على مدى تأثير المعلم في تلاميذه ونشر التعليم في الوقت نفسه، فللعالم من حيث هو نصيب من الهيبة والإعتراف في المجتمع الإفريقي. ففي عهد الفدولة الفولانية نجد الشيخ عثمان بن فودي يشجع على التعليم و أوضح أهمية و ضرورة ذلك في معظم كتاباته، لذلك تمثل مرحلة الخلافة الصكيتية العصر الذهبي لازدهار و انتشار اللغة العربية و تقدم العلوم والثقافة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط و الغربي.

فقامت الطريقة القادرية بقيادة الشيخ عثمان وأعوانه من بعد على، نشر المدارس القرآنية، و دفع المجتمع الإفريقي للاهتمام بهذه المدارس، بإرسال الأطفال من بنين و بنات إليها، فيتعلمون شيئا من القرآن، كما يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية، لذلك كانت لهذه البداية نتائج بعيدة المدى، كان من أهمها أن التعليم الإسلامي قد ثبت في هذه البلاد، و أصبح تعليم اللغة العربية مفتاحا للعلم و المعرفة و المكانة، و لارتباط ذلك الإسلام الذي حث على طلب العلم لنشر التعليم بالعربية.

⁶⁷ - الحسن بن الوزان، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص 287، 288.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

ولم يكن التعليم العربي عشوائيا بل تم وضع برنامج دراسي مضبوط لتدريسها، فكتسبت اللغة العربية مساحة من التقديس عند مسلمي غرب إفريقيا باعتبارها لغة الاسلام⁶⁸، التعليمية. فكان التعليم الصوفي أحد الوسائل لتحقيق هذه الغاية وكان خير عون لتلك المحاضر التي انتشرت في غرب إفريقيا.⁽⁶⁹⁾

فكانت الكتابات تقوم بدور الرادع والحائط المنيع لأي محاولة للنيل من الحضارة الإسلامية، و اللغة العربية في المنطقة. فهي تقوم بدور ثقافي تعليمي كبير مما جعلها بنيل احترام وتقدير السكان الأصليين تجسدت في عدد الكتابات التي كانت منتشرة في مختلف المدن والقرى الإفريقية ولعبت قبائل فلان دورا هاما في ميدان الثقافة العربية وخاصة في غينيا و فوطة حيث يذكر المؤرخ (ت.أرنولد) أن عدد الذين يعرفون اللغة العربية وقراءة تراثها - خاصة من أمهات الكتب العربية التي بلغت أكثر من 400 كتاب من قبائل التكرور - كان كثير جدا كما قدر عدد الكتابات في نيجيريا وحدها سنة 1900 حوالي 25 ألف كتاب، و في نيجيريا بلغ عدد التلاميذ أكثر من 14 ألف، و في الداهومي فتجاوز الـ 15 ألف تلميذ مع بلوغ عدد الكتابات فيها 134 سنة 1909، قد بلغ في غينيا في نفس السنة حوالي 23 ألف تلميذ أما الشيء الذي ساعد في دفع التلاميذ على تعلم العربية هو أنها كانت تدرس بدون مقابل، إضافة إلى كون معلمها يتمتع بسمعة حسنة و أخلاق عالية ومكانة مرموقة، وبخصوص التلاميذ الذين يدرسون في الكتابات القرآنية فقد بلغ أكثر من 140 ألف تلميذ الدراسات، وفي السنغال بلغ عدد الكتابات ألف كتاب أما عدد التلاميذ فتجاوز 11 ألف تلميذ. و في موريتانيا وصل عدد التلاميذ في المدارس القرآنية سنة 1907 إلى أكثر من 235 ألف تلميذ، رغم أن عدد السكان لم يتجاوز الـ 225 ألف نسمة. ومع بداية سنة 1902 أي سنتين بعد ذلك تخطى عدد التلاميذ عتبة الألف تلميذ في مختلف المدارس القرآنية، وكان القادريون يشرفون - إضافة إلى عدد آخر من معلمي الطرق الصوفية الأخرى - على عدد من الكتابات كما

⁶⁸ - دراسات إفريقية، مجلة بحوث نصف سنوية، العدد 19، يونيو 1989

⁶⁹ - شوقي الجمل، الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا، مجلة المناهل، عدد 7، نوفمبر 1976م، ص 145.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

يذكر المؤرخون ففي السنغال كان يوجد أكثر من 488 معلم من أتباع الطريقة القادرية يشرفون على حوالي 11 ألف تلميذ

وكان التعليم يتم على ثلاثة مراحل أساسية هي:

- 1- المرحلة الأولى: أي مرحلة الإبتدائية، ويتعلم فيها التلميذ الحروف الهجائية العربية ومبادئ الكتابة.
 - 2- المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي يتم فيها تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ الدين الإسلامي
 - 3- المرحلة الثالثة: وهي مرحلة تفسير القرآن الكريم، وفيها يتولى الشيوخ المختصين عملية التفسير
- إن الدور الحضاري الذي لعبته اللغة العربية في غرب إفريقيا يكمن في كونها جعلت السكان يكتبون لغاتهم، فلولا اللغة العربية لبقيت لهجاتهم شفوية كما حدث للغة الهوسا والفلان وغيرها، فقد ساهمت العربية في إثراء اللغات المحلية بنسبة كبيرة خاصة في ميدان المحادثة:

ومن أهم أعلام القادرية الذين كان لهم الدر الكبير في هذا الميدان نذكر محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي ترك العديد من المؤلفات التي كان لها بالغ الأثر في الحياة العلمية والثقافية في غرب إفريقيا، نذكر منها البدر المنير في علم التفسير، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، شرح مختصر الخليل مفتاح النظر في علم الحديث، شرح جمل الخونجي في المنطق، ففي نفس السياق قام المغيلي بمراسلة السيوطي وانتصر لأراء أرسطو في المنطق، فتأثر بآراءه الكثير من علماء إفريقيا وساروا على منهجه ونشروا مؤلفاته التي تدرس إلى اليوم.

كما نذكر من علماء المنطقة، أحمد بابا التنبكي وغيرهما، و منهم من درس في الأزهر مثل محمد الأمين الكانمي و منهم من درس في المغرب و تنبكت و القدس مثل جبريل بن عمر والشيخ عثمان بن فودي و أخيه عبد الله بن فودي و غيرهم من العلماء الذين كرسوا حياتهم في نشر الإسلام و الثقافة العربية.

و قد أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية المستعملة في الدواوين و المحاكم الشرعية، فضلا عن كونها اللغة الثقافية، و اهتمت القادرية بنشر اللغة العربية اهتماما كبيرا، و برز ذلك في معظم كتب الشيخ عثمان بن فودي و أخيه عبد الله، و قد خاطب عبد الله قبائل الفلاني ينصحهم

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

بضرورة تعلم اللغة العربية التي هي أفضل اللغات لأنها لغة القرآن، كما طلب منهم المحافظة على لغة الفلاني و تعليمها و ألا يفرطوا فيها.

أصبحت المدارس ميادين للتدريب يتدرب فيها الشبان والكبار على السواء، ويبدأ الصبي من المرحلة الأولية، وهي المدارس القرآنية، لقد انتشرت المدارس الخلاوى القرآنية ومعاهد العلم انتشارا كبيرا في مناطق نفوذ القادريين، حيث يقول محمد بللو في كتابه "انفاق الميسور في بلاد التكرور": "...لا يوجد في هذه البلاد عامة معتنون بقراءة القرآن وتجويده وكتابته منهم"

ويتجلى الدور الثقافي الذي قامت به الطرق الصوفية عموما والقادرية خصوصا أولا في نقل فن الكتابة من المغرب العربي إلى باقي مناطق غرب إفريقيا فقد أثمرت الصلات الأولى للعلماء و التجار في إدخال فن الكتابة إلى السودان الغربي، فمن المؤكد أن جميع أساليب الخط العربي التي نجدها في تلك البلاد ليست سوى أنماط من هذا الخط الذي يطلق عليه الخط المغربي.

2- الحركة العلمية في غرب افريقيا:

حركة الكتابة و التأليف:

ازدهرت الحركة العلمية واشتهرت منطقة إفريقيا جنوب الصحراء بكثرة علمائها وفقهائها وأئمتها، واحتفظت بمكائنها العلمية والثقافية -حتى في أوقات ضعفها السياسي- كمراكز كبرى للثقافة وعاش العلماء في رغد من العيش.

وإلى جانب العلوم المرتبطة بدراسة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية -ازدهرت أيضا العلوم التي شملت جميع أمور الحياة فدرست مناهج النحو والعلوم الفلسفية والرياضيات والمنطق وعلم النفس والهندسة والفلك والأدب والطب والتاريخ والرحلات وفن الكتابة (الخط) والتراجيم.ومن أبرز هذه المدن تمبكت وجاو وجنى وصنعى و صكوتو وحمد الله، حيث استقدم شيوخ القادرية كأحمدو لوبو و الشيخ عثمان و محمد بيلو العلماء من شتى الأنحاء ووفروا لهم كل أسباب العيش طلبا للعلم.

وكان العلماء يحضرون كتجار وحاملي علم واستفادوا ونشروا علمهم الغزير وثقافتهم الإسلامية

الواسعة فازدهرت الحياة الثقافية في كافة المراكز الثقافية

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

وقد ازدهمت مدينة تمبكت بالعلماء والفقهاء والأئمة الذين كانوا ينالون معاملة كلها احترام وتقدير وتعظيم وازدهرت الحركة العلمية وأقبل الناس على اقتناء الكتب رغم ارتفاع تكاليفها والتي كانت تبحث كافة فروع العلوم الإسلامية.

وقد نشأت في كنف الخلاف الصكتية عدة معاهد و انتشرت في معظم ولايات الدولة و أجزاءها المترامية، و أول هذه المعاهد و أهمها معهد صكت أو معهد الشيخ عثمان الذي كان من أكبر المعاهد الدينية، و الذي تفرع منه عدة فروع لا في صكت وحدها بل في جميع أنحاء الدولة، إلا أن نشاط هذا المعهد بدأ يتضاءل بعد وفاة أمير المؤمنين محمد بلو عام 1837، رغم الجهود الكبيرة التي بذلها ابنه علي الكبير (Ali Baba) بعد أن أصبح أميراً للمؤمنين عام 1842.

كما أنشئت معاهد أخرى في صكت نفسها أهمها معهد غداد بن ليم الذي أسس في عهد الشيخ عثمان و كان من أكثر المعاهد نشاطا في نشر العلم، و قد كان مؤسس هذا المعهد عالما متفنا و كرس جهده في تطوير هذا المعهد، و بعد وفاته خلفه ابنه عبد القادر في التدريس في هذا المعهد.

و هناك معاهد كثيرة غنية عن التعريف منها معهد الشيخ ما لم المصطفى في صكت، ومعهد الشيخ عبد الله بن فودي في غوند، بالإضافة إلى معهد الحنبلين في كاتيسنا، و معهد جوما في زاريا، و معهد حسن غرن في أداماوا، و معهد المعلم دندو في بيدا.

من المؤلفات التي كان لها بالغ الأثر في الحياة العلمية والثقافية في غرب إفريقيا، نذكر منها البدر المنير في علم التفسير، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، شرح مختصر الخليل، مفتاح النظر في علم الحديث، شرح جمل الخونجي في المنطق، ففي نفس السياق قام المغيلي بمراسلة السيوطي وانتصر لأراء أرسطو في المنطق، فتأثر بآراءه الكثير من علماء إفريقيا وساروا على منهجه ونشروا مؤلفاته التي تدرس إلى اليوم.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

كما نذكر من علماء المنطقة، أحمد بابا التنبكي⁷⁰، كما شهد الغرب الإفريقي عددا لا بأس به من العلماء لازالت آثارهم العلمية الى اليوم مثل:

1- القاضي محمد بن أحمد التادخي من علماء كسينا، لقي المغيلي وزكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي واللقاني وغيرهم، توفي سنة (930هـ).

2- الشيخ عبد الله ثقة الفلاني الكشناوي: رحل إلى أغدز، وفان، وتكده في طلب العلم، ثم رجع إلى كسينا، وتصدى للتدريس بها، له منظومة في المواعظ والحكم في نحو ألف وخمسمائة بيت أسماها (عَظِيَّة المُعْطِي)، ويقال: إنه أول من حفظ الكتب السنة في هذه البلاد.

3- الشيخ العاقب بن عبد الله المسوفي، الذي تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، له دور بارز في الحياة العلمية في غرب إفريقيا وذلك لما تميز به من إنتاج فكري يتجاوز حدود الغرب الإفريقي، ومن آثاره العلمية، أجوبة الفقير من أسئلة الأمير، وهي مجموعة فتاوى استفته فيها الأسكيا محمد الكبير، وكذلك تعليق على قول الخليل، وقد ذكر الشيخ أحمد بابا التنبكي كل مؤلفاته في كتابه نيل الإبتهاج لتطوير الديباج.

4- الشيخ جبريل بن عمر: شيخ شيوخ زمانه وهو الرجل الذي أثار في الشيخ عبد الله بن فودي، وكان له دور وجهد بارز في محاربة البدع والفساد في بلاد (الهوسا). يقول عنه الفودي في كتابه "إيداع النسخ فيما أخذت عن الشيوخ": "وله شهره في العلماء شرقا وغربا تغني عن ذكر شمائله، أخذت عنه كتب أصول الفقه، وجمع الجوامع وشروطها، وقرأت عليه بعض تواليفه"

⁷⁰ - يذكر الشيخ أحمد بابا التنبكي أن مكتبته كانت تضم حوالي ألف وستمائة مجلد وهي أصغر مكتبة في أسرته، ويصف لنا عن الشيخ محمد بن أبي بكر التنبكي المعروف ببغيع من خلال كتابه نيل الإبتهاج حالة العلم في وقته فيذكر: "...أضف إلى ذلك محبة العلم ومحبة أهله وكان له صبر عظيم⁷⁰ مع طلبة العلم كان يعير كتبه النادرة و التمنية في كل المجالات دون أن يطلب ردها ابتغاء لمرضاة الله وأحيانا ما كان يطلب من الطالب كتابا فيعطيه له دون أن يعرف من هو"، ومن دلائل أهمية العلم في المنطقة هو ما ذكره الوزان أن الكتب و المخطوطات كانت تباع وكانت تجارة رابحة حيث أن ربحها أكثر من ربح السلع التجارية الأخرى.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

ثم جاء الشيخ عثمان دان فوديو الذي يعتبر امتدادا طبيعيا لهذه الحركة العلمية الدينية، التي تعتبر في نظره السلاح الحقيقي في وجه النهوض من الخرج من الجهل من جهة و التصدي للغزاة الأوروبيين من جهة أخرى.

2-2-النشاط الفكري للشيخ عثمان :

قويت الثقافة العربية الإسلامية و ازدهرت في زمانه و صار الشيخ إماما للمسلمين ومجددا لأمر الدين فظهرت مجموعة كبيرة من المؤلفات للشيخ و أتباعه لتوجيه الرعية و حل مشاكلها و إرشادها في أمور الدين، كتبت هذه المؤلفات بالعربية و لغة الفلاني و لغة الهوسا خدمة للمسلمين.

و قد أورد البروفيسور ميري لاس في كتابه خلافة سكتو، أورد 88 كتابا للشيخ عثمان دان فودي في مختلف العلوم الشرعية و العربية و قضايا المجتمع، ثم 98 كتابا للأمر محمد بيلو بن عثمان دان فودي الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه الشيخ عثمان بن فودي، و مؤلفات أخيه عبد الله دان فودي التي بلغت 77 كتابا و قد تزيد كثيرا عن هذا العدد (كان يلقب بعربي السودان).

كانت كتبه بلغة عربية مبينة، تضاهي لغة أعظم الكتاب شعرا و نثرا و نحوا و صرفا و عروضا و فقها و حديثا و في التوحيد، و خير دليل على هذا الإنتاج الغزير لهؤلاء العلماء و غيرهم في ميدان الثقافة العربية الإسلامية، الأعداد الكبيرة من المخطوطات التي جمعها المرحوم الأستاذ بشير عثمان من القرى و المدن و قد أودعها دار الوثائق بسكتو بعد أن نظمها و جعل لها نظم فهرست حديثة طبقا لما هو موجود في أكبر المكتبات و دور الوثائق في العالم، و لكن يلاحظ بعد سقوط الدولة السكتية بدخول المستعمر أصاب الثقافة العربية الإسلامية ضعف شديد و انهيار نتيجة للحرب المنظمة التي شنها الاستعمار ضدها، و ذلك بغرض فرض لغته بالقوة، و كتابة لغة الهوسا بالحرف اللاتيني بعد أن كانت مكتوبة بالحرف العربي.

ثم تحول التعامل في دواوين الدولة إلى اللغة الانجليزية، و حصرت العلوم الإسلامية في نطاق ضيق، و قد استمر هذا الوضع في نيجيريا حتى الاستقلال.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

يعتبر الشيخ عثمان دان فودي أن أهم طرق الإصلاح تعتمد على ضرورة إبلاغ دعوته لجميع الناس، وتعتبر الكتابة أهم الطرق التي تحقق هذا الهدف لذلك لم يدخر الشيخ عثمان جهدا في التأليف وباللغتين العربية و الفولانية و غيرها مما يستطيع إليها سبيلا. فقد بلغت مؤلفاته ما يفوق الألف بين الكتب والمقالات في مختلف المجالات السياسية، الاجتماعية والثقافية خلال فترة دامت الأربعين سنة يذكر منها ابنه محمد بللو في كتابه "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور"

كما يذكر بللو أن مؤلفات والده يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ- مؤلفاته خلال الفترة بين 1774 إلى 1804، والتي عالجت قضايا الإيمان و الكفر في الغالب، وإحياء السنة النبوية، ومحاربة البدع، وحقوق المرأة المسلمة، وحملت مؤلفاته حول هذه القضايا العناوين التالية:

* إحياء السنة وإخماد البدعة

* بيان البدعة الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية

* تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ المجلس من أجل تعليم النساء الفرائض الدينية

ب- مؤلفاته خلال الفترة من 1804-1810: وتناولت أعماله في هذه المرحلة موضوعات ومسائل فكرية عقائدية مثل دواعي الهجرة و الجهاد، ظهور المهدي المنتظر، مبادئ العدالة الاجتماعية.....ومن تلك الكتب:

* بيان وجوب الهجرة

* النبأ الهادي إلى أخبار الإمام المهدي

* أصول العدل لأولات الأمور وأهل الفضل

ج- مؤلفات المرحلة بين 1810-1817: التي عالج من خلالها الأصول الفكرية للمؤسسات الإسلامية التي تقوم عليها الدولة المبنية على قواعد الشريعة في ضوء القرآن و السنة وممارسات

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

الصحابة، كما بررت هذه المؤلفات قيام الجهاد في تلك المنطقة من إفريقيا و الأهداف التي يرمي إليها و أهم تلك المؤلفات:

* كتاب الفرق

* نجم الإخوان

* سرج الإخوان

* نصيحة أهل الزمان

مما يمكن ملاحظته من خلال فترات وعناوين هذه الكتب أن الشيخ عثمان أراد أن يتبع من خلالها منهج القرآن الكريم في النزول و سيرة النبي الكريم في بناء دولته، حيث كان هدف القرآن في أول الأمر هو تبيان الفرق بين الإيمان والكفر خاصة في السور المكية، ثم أن محمد عليه الصلاة والسلام بدأ بناء دولته بالهجرة ثم الدعوة إلى المؤاخاة و تبيان أحكام الدين، كما أرسل عدد من الرسل إلى الحكام والملوك لشرح الرسالة، وهو نفس الشيء الذي قام به الشيخ عندما أرسل عدد من الرسل لمختلف الأقاليم الغربية في إفريقيا، وبعد ذلك جاء الأمر بالجهاد في سبيل إرساء قواعد الدين ومحاربة الشرك، إقامة الدولة الإسلامية.

2-2- الحركة الشعرية:

لم يتخل الشعر عن مكانته في منطقة غرب إفريقيا، بل لعب نفس الدور الذي لعبه الشعر في الجاهلية وأثناء دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا المراحل المختلفة للدولة الإسلامية، فلعب الشعر دور الداعي للجهاد، المؤيد للدعوة و الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر، وكان أعلام القادرية و شيوخها ومريدوها من السباقين لاستعمال الشعر في مختلف مجالات الحياة الدينية، الثقافية و السياسية منها لما له من وقع في نفسية الفرد الإفريقي، وكان نظم الشعر يسير بنفس الطريقة التي كان ينظم بها وقت الجاهلية.

فكانت القصيدة تبدأ بالوقوف على الأطلال ثم يصف مراحل الحياة، لينتقل بعد ذلك للزهد

ثم يخلص إلى مدح ممدوحه.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

و خير مثال لذلك شعر الأمير محمد البخاري بن عثمان دان فودي يمدح عمه الشيخ عبد الله

دان فودي قائلاً:

أصحوت أم هاجت هواك منازل
عفى معارفها البلى و هواطل
بثلاثامي أو بجن فما بها
الأنعام ترتعى و فراعل
دار عهدت بها الحلول و كل من
أهوى معي و العيش غض باجل
و لقد وقفت برسمها مستخيرا
عن أهلها و الدمع مني سائل
لله درك هل وقوفك نافع
برسومها أم هل لدمعك طائل
فده الديار و ذكر أخدان الهوى
و خرائد في مشيها تتمايل

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى الزهد قائلاً:

و أسلك طريق أولي الهداية و اغتنم
فرصا تمر و أنت عنها غافل
و أزهده عن الدنيا فإن نعيمها
أضغاث أحلام و ظل زائل
و أبغ السيادة بالعلوم فما استوى
في المجد ذو العلم و من هو جاهل
صرف بقايا العمر في تحصيلها
فالعلم أفضل ما حياه الآمل
و اركب جواد المجد فيه فما استوى
نيل المجد و نيل من يتكاسل
و تنحى عن أهل الدعاة و كل من
شغلته تجارة و محافل
و أصحاب أولي العزم الهداة فإنهم
للمقتدين كواكب لا تأفل

ثم ينتقل الشاعر إلى ممدوحه قائلاً:

لقد حباك الدهر شيخا ماله
في العلم في تلك الأراضي مائل
أعني إمام العصر عبد الله من
ساد الشيوخ النيل من هو شابل
شيخ العلوم خديمها تباعها
خدن التقى الخبر النبيل الكامل

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

علم الهدى سعد الزمان عماده
حان رفيق بالأنام حلاله
ذو شدة في دينه متواضع
ذو هبة بر أمين عامل
علامة القرآن حاوي السبق في علم
الحديث و في البلاغة كافل

ويعتبر المدح من أبرز أنواع الشعر، لما له رواج كبير و اهتمام بالغ مثل مدح الرسول، لأن زعماء الدولة كان همهم الأول إعلاء شأن الدين، و إظهار مبادئه العظيمة بين الناس و تغيير سلوك المجتمع إلى التعاليم الإسلامية التي تسمو بالبشرية و تنفيها.

كان الشعراء من مختلف طبقات المتعلمين، و هم في مواقع الدولة المختلفة مثل الوعاظ والقضاة و الوزراء و قادة الجيش و المدرسين و أئمة المساجد و رجال المهن، بدون عناء و هو تغيير ظاهر في كل أنحاء إفريقيا التي وطأتها قدم الإسلام حتى وسط الدول ذات الأقليات المسلمة، و فقط تطرق لغرب إفريقيا كنموذج.

وكان شعراء المدح يختلفون عن الشعراء العرب في الشرق الذين يمدحون الأمراء و الخلفاء للتكسب بالشعراء، أما عراء سكتو فإن مكانتهم الاجتماعية لا تسمح لهم بذلك لأن منهم الوزراء و كبار العلماء و رجال الدولة.

الذي وصل إلينا من شعر المدح في تلك الفترة قليل و هو ينحصر في الآتي:

1. مدح الرسول صلى الله عليه و سلم.
2. مدح الأمراء و الوزراء.
3. مدح الأولياء.
4. مدح قادة الجيش الذين يحققون الانتصارات للإسلام.

كان الغرض من المدح هو إظهار ما يتحلى به الممدوح من الصفات العظيمة و المحامد و المكارم ليتأثر بذلك الآخرون، و لا يمدحون للتكسب كما أشرنا إلى ذلك سابقا مثل ما كان يفعل المتنبي و

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

الحطيفة و الفرزدق و جرير و بشار و غيرهم، و قد وضع مؤرخو الأدب الشعراء النيجريين في تلك الفترة في ثلاث مجموعات.

المجموعة الأولى التي وصلت إلينا أشعارها هي:

1. الشيخ عثمان دان فودي.
2. الشيخ عبد الله دان فودي.
3. الشيخ سلطان بيلو بن عثمان دان فودي.
4. السيدة أسماء بنت عثمان دان فودي.
5. السيدة مريم بنت عثمان دان فودي.
6. الشيخ عبد القادر بن المصطفى.

هذه المجموعة هي صاحبة الريادة في الأدب و الشعر في دولة صكة.⁷¹

⁷¹ - آدم إبراهيم أحمد، الثقافة العربية الإسلامية في دولة صكة الإسلامية، منشورات جامعة إفريقيا العالمية، المؤتمر الدولي حول الإسلام في

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

قائمة المصادر و المراجع

- 1- يحي بوعزيز، تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية، دار هومة 2001-1
- 2- ابراهيم طخران الاسلام واللغة والثقافة العربية في السودان الغربي والاطوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1969م.
- 3- ابو القاسم بن حمقل، صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1979م
- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي القاهرة، 1991م.
- 5- ابو عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي بيروت لبنان.
- 6- زبيدة عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الاسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، (د ت)
- 7- محمد رياض وكوثر عبد الرسول، افريقيا، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، مصر القاهرة 2012
- 8- اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
- 9- محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- 10- مصطفى حجازي السيد وآخرون الموسوعة الإفريقية المجلد الثالث، معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، ماي 1997م.
- 11- الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من تهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر الدار المصرية اللبنانية القاهرة الطبعة الاولى 1999م
- 12- جلال يحيى، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، 1999م.
- 13- المنجد صلاح الدين، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب الجديدة .
- 14- صلاح الدين المنجد، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب الجديد، 2016.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

15- فيصل محمد موسى ، موجز في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة ، 1997.

16 - جون جوزيف ، الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء ترجمة مختار السويدي دار الكتاب المصري الطبعة الاولى 1984م .

17- احمد فاضل علي باري و سعيد ابراهيم كريدية ، لمسلمون في غرب افريقيا ، دار الكتاب العلمية بيروت لبنان 2015

18- عثمان برايما باري ، جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي دار الامين القاهرة الطبعة الاولى

19- نعوم شقير ، تاريخ السودان ، تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم ، دار الجيل ، بيروت ، 1981

20- مصطفى محمد ، الاسلام و النوبة ، الهيئة العامة لكتاب ، 2011

21- يوسف فضل حسن ، تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي ، الدار السودانية للكتاب ، 1972 ،

22- مصطفى محمد سعد ، الاسلام و النوبة في العصور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2011،

23- محمد صالح محي الدين ، مشيخة العبدلاب و أثرها في حياة السودان السياسية ، السودان ، الدار السودانية للنشر ، 1972 ،

24- أحمد حسين عبد الحمن آدم، الدلالات الأثرية للإمتداد السياسي و الديني لدولة الفونج بين الشلالين الرابع و الثالث ن ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، 2044

25- طيب بوجمة نعيمة ، قراءة في تاريخ مملكة الفونج الاسلامية 1504- 1821 م ، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية و الحضارية ، المجلد 7 ، العدد 2 ، 2020/7/30،

26- محمد حسن الزبيدي: هجرة العرب المسلمين إلى شرق إفريقيا مجلة المؤرخ العربي، العدد 23 لعام 1983م

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

27- محمود محمد الحويري: ساحل شرق إفريقية في فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي مطبعة القاهرة
الجديد 1986م

28- ابن هشام السيرة النبوية دار الكتاب العربي بيروت - لبنان 1989م، ص 349.

29- عوض الكريم إبراهيم نور الدين أبحاث الندوة العالمية عن التعليم الإسلامي، جامعة الملك فيصل
- أنجمينا 1425هـ

30- فضيلة بهرو، الطراز الاسلامي ، مذكر ماستر افريقيا ، جامعة أدرار ، 2019،

31- فضيلة بهرو، الطراز الاسلامي ، مذكر ماستر افريقيا ، جامعة أدرار ، 2019،

32- بدرية يوسف عبد الرحمن مملكة جبرت كبرى ممالك الطراز الإسلامي

33- المقريري ، الامام .

34- القلقشندي ، صبح الأعشى .

35- العمري ، مسالك الأبصار .

36- رينهارت دوزي ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، (بغداد: 1971) .

37- ابن منظور ، لسان العرب .

38- محمد بن عبد الله بن محمد بن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،

أعتنى به وراجعته : درويش الجويدي ، المطبعة العصرية ، (بيروت : 2007)

39- ت. تامرات ، القرن الأفريقي - السليمانيون المنتسبون للملك سليمان الحكيم - في أثيوبيا

ودول القرن الأفريقي ، بحث منشور في كتاب تاريخ أفريقيا العام ،

(اليونسكو: 1988): 433/4 .

40- تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريري ، الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك

الإسلام (القاهرة: 1895)

41- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة ، المخصص ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ،

(القاهرة: 1321هـ) ، ج 6 ، م 2

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)

42- محمود أحمد محمد سليمان عواد ، الجيش والقتال في صدر الإسلام ، مكتبة المنار ، ط1 ،
(الزرقاء : 1987) ،

43- موسوعة تاريخ العلوم العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، (بيروت:1997) :
1054/3 .

44- رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والاسلام في دارفور في العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر
والتوزيع الفجالة،

45- الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر ، دار الغرب الاسلامي
، بيروت، الطبعة الثانية 1983م

46- مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها و بعض مظاهر حضارتها، دار المصورات للنشر
و الطباعة و التوزيع، الخرطوم، 2016

47- رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والاسلام في دارفور في العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر
والتوزيع الفجالة،

48- عبد المجيد عابدين، دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل ، بحث ضمن كتاب البيان
والاعراب عما بارض مصر من الاعراب ، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1961م

49- نادية ماجي ، مدينة أكسوم اليمنية بالحيشة دراسة حضارية ، مجلة عصور، العدد 26-27 ،
جويلية 2015 ، ص 51

50- بلقاسم رحماني : حضارة العرب القديمة (الحضارة اليمنية نموذجاً) 2009.

51- محمد عبدالقادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر
1985

52- محمد أحمد خلف : الجذور التاريخية للعلاقات بين العرب و الأفارقة ، مركز دراسات الوحدة
العربية ، العرب و الدائرة الإفريقية ، لبنان ، 2005م

**مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس
مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)**

53- زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ،
مكتبة النجلو المصرية، ط1، 1968م. ،

54- محمود شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، المكتب الإسلامي دمشق، ط1 سنة
1387هـ-1977م.

55- الشاطر بصيلي عبد الجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، 1972م

56- عبدالظاهر حسن عيسى، الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفلاني في مطلع القرن
الثاني عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، للدكتور/ ، من مطبوعات ومنشورات جامعة الإمام محمد
بن سعود الإسلامية، 1401هـ - 1981م

المراجع باللغة الأجنبية

- (F) Anfray: « fouilles de Yeha » In: A É, v5, 1972,

- (H) De Contenson, « Les Principales Etapes De L’Ethiopie
Antique », op cit

**مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس
مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)**

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس
مقياس إفريقيا جنوب الصحراء (السداسي الخامس)
فهرس المحتويات

الرقم	عنوان الدرس	الصفحة
01	توطئة	02
02	مدخل إلى مقياس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء	03
03	مصادر ومراجع مقياس إفريقيا جنوب الصحراء	04
04	المحاضرة الأولى: تعريف إفريقيا جنوب الصحراء	05
05	المجال الجغرافي لدول إفريقيا جنوب الصحراء	10
06	الخصائص الطبيعية في بلاد السودان (إفريقيا جنوب الصحراء)	10
07	المحاضرة الثانية. أصل السكان و القبائل في إفريقيا جنوب الصحراء	16
08	المحاضرة الثالثة انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء	22
09	عوامل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا	24
10	المحاضرة الرابعة ممالك السودان الغربي	27
11	المحاضرة الخامسة. مملكة مالي	32
12	المحاضرة السادسة مملكة صنغاي	38
13	المحاضرة السابعة مملكة كانم- برنو	44
14	المحاضرة الثامنة ممالك في الشرق الإفريقي	48
15	المحاضرة التاسعة. مملكة دارفور	52
16	المحاضرة الحادية عشر الحياة الثقافية في غرب إفريقيا بعد انتشار الإسلام	64
17	قائمة المصادر والمراجع	78